أرسين لوبين

الجرائم الثلاثة



مغامرات "أرسين لوبين"

● ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس، وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

- ١ -

المحتال الكبير

لم يكن المستر "الفريد تيلسون" سوى واحد من عديد من الرجال الذين يحدوهم الأمل في أن تتيح لهم الأقدار يوما ما مقابلة "ارسين لوبين" مرة أخرى .. في ليلة حالكة الظلام .. بجوار أحد الأنهار .. وأن يكون معهم حينئذ أثقال من الرصاص !!

ومع ذلك فإن مثل هذه الرغبة لم تتحقق قط لأحد من هؤلاء الرجال لسبب هين هو أن مياه الأنهار وأثقال الرصاص لم تكن تدخل قط في خطط "أرسين لوبين" المتعلقة بمستقبله .. أما في الليالي المظلمة فإنه كان يسير فيها حذرا بحكم ما اعتاد عليه .

ولكن المستر "الفريد تيلسون" - الذي كان يعرف في الأوساط التي يتعامل فيها باسم "برودز" - كان أحد الرجال القلائل الذين أتاحت لهم الأقدار أن يتقابلوا مع "أرسين لوبين" للمرة الثانية .. ولو أن تلك المقابلة لم تتم إطلاقا على النحو الذي كان ينشده المستر "تيلسون" ويرسم له الخطط .

* * *

كان المستر "الفريد تيلسون" رجلا نحيفا .. أشيب الشعر .. ملامح وجهه تقرب من ملامح وجه الجواد .. ومظهره العام يوحي بأنه رجل دين متقاعد ..

وهذا المظهر قد اكتسبه وتقمصه مختارا حتى يكون عونا له في أعماله .. واستمر متقمصا ذلك المظهر مدة طويلةحتى أصبح جزءا لا يتجزأ من شخصيته بحيث لو أراد التنصل عنه لما أمكنه ذلك .. مثله في ذلك مثل الرداء ذي الطابع الديني الذي اشتهر به حتى أسهم في

نجاحه عمليا على مر الأعوام والسنين .

وقد عرف عن المستر "برودز" أنه من أعظم اللاعبين الأحياء الذين يتحكمون في ورق اللعب في العالم كله . ويكفي المرء أن يرى أصابعه الطويلة (تفنط) أوراق اللعب ثم تقوم بتوزيعها وهي تعرف أين تذهب كل ورقة منها وكأنها تقوم بملء خانات حسابية مرسومة بدقة . وتنفذ حسب خطة مدروسة . فقد كان في إمكانه عمل أي شيء بمجموعة من أوراق اللعب . فيما عدا أن يجعلها تتكلم . إذ كان يمكنه أن يقوم بتفنيطها مرة واحدة وكأنه لا يراها . في تلك الأثناء يمكنه أن يميز المجموعة ورقة ورقة . ثم يرتبها حسب ما يريد ويرغب. ثم يجمعها مرة أخرى في حركة سريعة لا يتأتى للعين متابعتها .

وإذا كنت من الذين يحترفون اللعب . وكنت من الأشخاص المعروفين في هذا المضمار . ثم أمكنك بعد ذلك إقناعه بأن يقدم لك عرضا لأعماله السحرية . فإنه سيدعوك إلى أن تقوم بتوزيع الأوراق على أربعة أفراد يشتركون في لعبة البريدج . ثم يطلب منك أن تكتب بيانا عن الأوراق التي لدى كل لاعب . ثم يسألك أن تفنط الورق كما تهوى وتشاء . وبعد ذلك تعطيه مجموعة الأوراق .

وبعدما يأخذ مجموعة الأوراق منك ستجد أنه يلقي نظرة واحدة على القائمة التي أعددتها . ثم يقوم هو بنفسه بتفنيط الورق مرة واحدة . ثم يبدأ في توزيع الأوراق على اللاعبين الأربعة مرة أخرى كما سجلتها أنت في القائمة تماماً .

أما إذا كنت سيئ الحظ وقمت بملاعبته . ففي وسعك أن تطلب مجموعات جديدة من أواق اللعب كما تريد . مادمت قادرا على دفع ثمنها دون أن تسبب له أي ضيق على الإطلاق . إذ من المعروف عن المستر "ألفريد تيلسون" أنه لم يقم قط بوضع أية علامة على ورق لعب

طيلة حياته . وفي نفس الوقت يمكنه أن يلعب بنجاح أية لعبة من ألعاب الورق .

ولو كان مستر "ألفريد تيلسون" قد اتجه نحو عرض براعته على خشبة المسرح لكان من المحتمل أن يتهيأ له دخل مريح جدا . ولكن ميوله وذوقه لم تقده إطلاقا نحو ذلك السبيل . لأنه كان شغوفا بالرحلات ونسيم البحر . حتى أنه أمضى سنوات عدة في رحلات بحرية عبر المحيطين الهادي والأطلسي .

محققا لنفسه في كل رحلة منها أرباحا مجزية ومخلفا دائما وراءه ضحايا يعللون أنفسهم بفكرة يصبرون بها أنفسهم ألا وهي أنهم قد تجنبوا - على الأقل - الوقوع بين براثن المحتالين وأنهم فقدوا أموالهم في لعب الورق مع شخص أمين .

ومن المحتمل أنه كان قادرا على التقاعد منذ أمد طويل لو لم يكن مصابا بنقطة ضعف تتمثل في قضاء الوقت بين الرحلات البحرية في أعمال بعيدة كل البعد عن الدين .

والواقع أن نقطة الضعف هذه هي التي تسببت في مقابلته الأولى مع "أرسين لوبين" .

* * *

كان قد انتهى من عملية مربحة جدا في رحلة قام بها إلى جزر ماديرا . ولكنه عند عودته بطريق البر من لشبونة قابل شقراء فاتنة عطلته فترة طويلة في باريس .

وفي صباح أحد الأيام استيقظ فوجد أن ما يملكه من نقود ينقص بمقدار عشرين جنيها عن أجر الرحلة إلى نيويورك . ولذا اتجه نحو لندن وفكرة الحاجة القصوى إلى رأس مال متسلطة على ذهنه .

وكان من سوء حظه أن الشاب الأنيق الذي وجده يتسكع إلى جوار حاجز السفينة التي عبر عليها قناة المانش بعد مغادرتها بولونيا لم

يكن سوى "أرسين لوبين" .

ولم يكن "أرسين لوبين" يبحث عن المتاعب في هذه الرحلة .. ولكنه لم يكن يرفض قط ان تدفع له مصاريف رحلته .. ولذا فإنه عندما قام المستر "تيلسون" بالتلميح إلى انه من الصعوبة بمكان العثور على طريقة يتم بها قضاء الوقت في رحلات عبور قناة المانش ادرك "ارسين لوبين" فورا ما عليه أن يتوقعه ولذا فقد لعبا إحدى ألعاب الورق المسماة "الكازينو" .. وفي نصف الساعة الأولى ربح "لوبين" خمسة عشر جنيها .

وهنا أبدى المستر "تيلسون" ملاحظة تنم عن العطف وهو "يفنط" ورق اللعب ويطلب كاسين آخرين من الشراب ، إذ قال :

- الا تظن ان اللعب بطيء نوعا ما ؟ .. هل يمكننا مضاعفة الرهان ؟

وكان هذا ما ينتظره "لوبين" .. وكانت ملكة الانتظار هذه ، حتى حلول اللحظة السيكولوجية الملائمة ، هي التي يقوم بالاستعانة بها دائما في مثل هذه المناسبات .. فقد كان مبلغ الخمسة عشر جنيها بمثابة سمكة صغيرة في الشباك التي القاها .. فتمتم قائلا :

- بالتأكيد يا أخي .. ولك أن تضاعفها ثلاث مرات إذا أحببت .. وساعود إليك بعد ثانية ، إذ علي أن أرى رجلا في امر مهم

واختفى بعد ذلك في مكان مناسب له ، وكان ذلك آخر عهد المستر "تيلسون" برؤيته .. ومن هنا نرى أن تلك الحادثة تعد من أكثر التجارب التي مرت بالمستر "تيلسون" وسببت له حزنا ، حتى انه بعد انقضاء ثلاث سنوات على وقوعها كانت لا تزال حية في ذاكرته .. وكأنها قد حدثت بالأمس القريب

* * *

وعندما علم "فرد جورمان" أن "برودز تيلسون" موجود في لندن ، قام بزيارته في يوم الذكرى السنوية الثالثة لتلك الحادثة .. ومن ثم

اضطر إلى الاستماع إلى احداث تلك القصة ، وذلك بحكم انه كان قد اشترك مع "تيلسون" في عملية ما منذ عدة اعوام مضت .. وبعد ذلك سار كل في طريق يختلف عن طريق الآخر .

ولم يشأ "فرد" أن تمر قصة "تيلسون" دون أن يقص هو الآخر قصة مشابهة .. ولذا قال :

- إن قصتك هذه تذكرني برجل قابلته في ربيع هذا العام .. قابلته في الكسندرا ، وكان ظاهرا عليه الاهتمام بجياد السباق ، وكان يتسم بمسحة من البراءة .. وعندما ذكرت له المهمة الخاصة التي كلفت بها بخصوص نيوماركت في عصر ذلك اليوم

وكانت تلك القصة من قصص "فرد" المفضلة ، وبعد أن انتهى من سردها بدأ في تناول الموضوع الأساسي الذي دفعه إلى زيارة "تيلسون" .. فقال :

- اقول لك الحق يا "برودز" : إن الأمور لا تسير على ما يرام بالنسبة لي .. فهناك عديد من القصص المنشورة في الصحف هذه الأيام توضح للمغفلين اسرارنا .. ولقد ساءت الأمور إلى حد أن واحدا أو اثنين من الرجال قد اضطرا إلى سلوك الطريق الشريف ليقيما اودهما حتى لا يموتا جوعا !!

وهنا اعترف المستر "تيلسون" في اسى قائلا :

- إن ظروفك مشابهة لظروفي يا "فرد" .. فخطوط الملاحة عبر المحيط الاطلسي نصفها غير مشغول ، والرجال الذين يقومون بالرحلات يظهر انهم لا يملكون من الأموال فائضا يستغلونه في اغراض الترفيه عن النفس كما كانت الحال عليه من قبل .

اوما "فرد" براسه ثم قال :

- حسنا .. هذا هو ما جال في خاطري يا "برودز" ، فلو اضفنا إلى ذلك اسبابا اخرى لوجدنا ان الحيل القديمة قد استنفدت اغراضها .

وعلينا أن نعترف بذلك ، وأن نساير الزمن ، و إلا داستنا الأقدام . والحاجة الآن ماسة إلى طريقة جديدة للاحتيال .

وهنا رفع مستر "تيلسون" حاجبيه متسائلا :

- وهل نجحت في استنباط هذه الطريقة التي تدر مالا ؟

- لقد اخترعت طريقة جديدة للاحتيال ، وهي على الأقل جديدة بالنسبة لي . واجمل شيء فيها انك لا ترتكب فيها اي عمل إجرامي ، أو على الأقل لا يتأتى لأحد اكتشاف شيء على الإطلاق .. فالعملية كلها سليمة ولا تثير الشكوك ، ومهما حدث لا يمكن القبض عليك لقيامك بها . وذلك إذا كنت حذرا في عملك .

فسأله مستر "تيلسون" :

- هل قمت بأية تجارب عملية لهذه الطريقة الجديدة ؟

- لا .. ومشكلتي أنه لا يمكنني ذلك ، فهأنذا قد ابتدعت هذه الفكرة الرائعة ومع ذلك لا يمكنني استخدامها . ولهذا السبب جئت إليك . فما أحتاج إليه يا "بروز" هو شريك لن يخدعني ، ويمتاز بخفة يده ، وليس له سجل لدى الشرطة.. ولكل تلك الأسباب لا يمكنني تنفيذ فكرتي بنفسي ، فالشخص الذي يقوم بتنفيذها يجب أن يكون شخصا محترما لا يتأتى لأي فرد المساس به وهنا يأتي دورك .. لقد أمضيت عدة أسابيع وأنا أفكر في كل الأموال التي تنتظر مني أن التقطها وأنا أتساءل عمن يمكنني أن أشركه معي ويكون حائزا على ثقتي ، وأمس فقط قال لي أحدهم إنك قد عدت . وهنا قلت لنفسي : "فرد" .. إن "بروز تيلسون" هو الشخص الذي تريده فهو الرجل الذي يعاملك بنزاهة ولن يفشي سر فكرتك" .. ولهذا عقدت العزم على أن أحضر وأقابلك ، وأعرف شعورك نحو فكرتي . وأنا على استعداد لذكرها لك وتقديم رأس المال اللازم لها على أساس أن أشاركك في نصف الأرباح .

وهنا سأله المستر "تيلسون" في حذر :

- وما هذه الفكرة ؟

رشف "فرد" بعضا من الشراب ، ثم مسح فمه بظهر يده وقال :

- فكرتي هي كالآتي : تذهب إلى أحد كبار تجار الجواهر على أساس أنك رجل غني لك بعض الأموال في باريس ، وهو أمر يسهل عليك تمثيله ، وتزعم أنك تريد أن ترسل لإحدى الفتيات قلادة كبيرة جميلة من الماس أو شيئا مماثلا .. ثم تختار من مجموعته ما يساوي ألفا من الجنيهات تقريبا ، وهو ما يمكنني تقديمه لك .. على أن ترسل هذه القلادة بطريق البريد ، وبالتالي يجب التأمين عليها .. وهنا يجب وضعها في طرد .. وطوال ذلك الوقت يكون في جيبك صندوق آخر يقرب في الحجم من حجم الطرد ، ولكن بداخله بعض الحصى حتى يكون وزنه مماثلا لوزن الطرد الحقيقي .. وهذا هو السبب في أن الشخص الذي يقوم بذلك الدور يجب أن يكون بارعا في استخدام يديه مثلك .. وحينما يتم وضع القلادة في الصندوق ..

وهنا قاطعه مستر "تيلسون" متنهدا :

- ليس في ذلك شيء جديد .. فليس لديك من المال ما يمكنك به تعويض تاجر الجواهر عن قلادته .. ومن ثم فأنت ترغب في أن يبقى الطرد المغلق طرفه داخل خزانته حتى ترسل له بطريق البريد ثمنها وتطلب منه إرسالها إليك . وعندما يمل من انتظار وصول التعليمات يقوم بفتح الطرد ، ويكتشف أنك قد استبدلت بالقلادة ما يكاد يساوي وزنها من الحصى . ألا تظن أن فكرتك هذه قديمة جدا يا "فرد" ؟

فرد عليه "فرد" في سخرية :

- تقول ليس لديك ما يكفي من المال ؟ .. هراء .. بالتأكيد لديك ما يكفي من المال .. إنني أقول لك : إنني سأقدم لك ألفا من الجنيهات لهذا المشروع .

ولن ينخدع أي تاجر جواهر اليوم بتلك الحيلة التي ذكرتها ، لأنه

سيرسل فورا في استدعاء رجال الشرطةفور ان تذكرها له . . انت تدفع نقدا مقابل الجواهر التي تشتريها ، والعملية سليمة وفوق الشبهات.. والآن انصت إلى ما سأقوله .

* * *

واستمع مستر "ألفريد نيلسون" وتأثر بما سمع ، وظهر له ان التعديل الذي أجراه "فرد" على فكرة قديمة له كثير من الميزات التي نسبها إليه المخترع الفخور . ومع انها كانت لا تتفق تماما مع مجال النشاط الذي اختاره مستر "نيلسون" لنفسه ، إلاان تدهور الرحلات عبر المحيط جعله أكثر تقبلا للأفكار التي تفتح له إمكانات جديدة لزيادة دخله

كانت الطريقة الجديدة في الاحتيال مما يحلم به كل محتال ، لانها من الأفكار التي لا تثمر إلا مرة واحدة في كل جيل . فتنتج لصاحبها حصادا ضخما لكل من يحسن استغلالها حتى ينكشف امرها وتفضحها الصحافة فتبدأ في التدهور . ومع ذلك فقد كان من الواضح أن هذه الطريقة الجديدة في الاحتيال ستلاقي نجاحا مؤكدا قبل أن يصيبها ما أصاب غيرها من الأفكار الممتازة .

* * *

ومن المحتمل أن سرور الشريكين في هذا الحلف الجديد بإمكانات واحتمالات ما تحققه تلك الفكرة ، قد جعلهما ينسيان مؤقتا رغبتهما المشتركة في مقابلة "ارسين لوبين" مرة اخرى ، على أن تكون المقابلة في ليلة حالكة الظلام . بجوار مجرى نهر وأن يكون معها حينئذ اثقال من الرصاص .

* * *

اما "لوبين" نفسه فلم يكن يفكر فيهما ، إذ كان يشغل تفكيره في ذلك الوقت أراء خاصة عن نوع الصداقات التي كان يتلهف إلى تجديد

التعرف بها . .

فمثلا كانت "روث إيدن" من طراز مختلف ، إذ كان الحظ قد أسعده بإنقاذها - في ظروف رومانتيكية - من اهتمام مستر "جوليان لامانتيا" بها . وقد ترتب على ذلك ان وجد مستر "لامانتيا" نفسه أحد ثلاثة فوجئوا بانهم اصبحوا افقر مما كانوا عليه بعد تلك المجابهة مع اللص الظريف . ولذا فإن "لوبين" قد ضم اسمها إلى قائمة الأشخاص الذين يسعده ان يقابلهم مرة اخرى في اي وقت وكان "لوبين" قد تمكن من العثور لها على عمل عند أحد معارفه ، وهو تاجر للجواهر النادرة يدعى "آلان امبرتون" ، له مكتب كبير يعقد فيه الصفقات وخزانة ضخمة يحتفظ فيها بالجواهر بدلا من أن يضعها فوق رفوف مغطاة بالزجاج

وكان قد انقضى وقت طويل لم يسمع "لوبين" خلاله عن "روث" شيئا.. وفي احد الأيام طلبته تليفونيا . .

وسر "لوبين" من سماعه صوتها ، لأنها منذ يوم لقائهما لأول مرة اظهرت علامات الإعجاب ببطولته . وكان معروفا عن "لوبين" انه أبعد الناس عن التواضع!!

وسمعها تسأله :

- هل نسيتني ؟

وهنا قهقه "لوبين" ضاحكا . ثم قال :

- اقول لك الحق . إنني كنت مشغولا بقتل الناس ، حتى انه لم تكن لدي دقيقة فراغ واحدة . ولقد ظننت انك ربما تكونين قد تزوجت أو حدث شيء من هذا القبيل . .

فما رأيك في تناول العشاء معي ، ومشاهدة مجموعتي من الجماجم ؟

- لكم أود ذلك . . متى ؟

- لم لا يكون ذلك الليلة ؟ . في اي وقت يسمح لك "آلان" بالانصراف ؟

- الخامسة والنصف .

وهنا قال "لوبين" :

- ساحضر لاصطحابك في الساعة السادسة .. وبذلك يكون عندك ما يكفي من الوقت لارتداء قبعتك يا عزيزتي .

ثم انهى الاتصال التليفوني قبل ان يسمع منها ردا .

* * *

وفي الوقت المحدد كان "لوبين" منهمكا في التعليق على حركات "روث" النسائية امام إحدى المرايا في الغرفة الخارجية من مكتب "آلان امبرتون" عندما فتح الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى الغرفة الداخلية. وسمع صوتا مالوفا بعض الشيء جعله لايتم حديثه في منتصف إحدى الجمل .

وبعد لحظة .. ولدهشة "روث" الكبيرة .. كان "لوبين" قد اختفى تحت احد المكاتب ، وكانه ارنب مذعور يختفي في جحره .. ولو لم تسرع "روث" بالاستدارة نحو المرآة في الوقت الذي قام فيه "امبرتون" بتوصيل عميله إلى الخارج ، لما كان هناك شك في انها قد انفجرت ضاحكة.

وعندما عاد تاجر الجواهر كان "لوبين" قد استعاد وضعه الطبيعي واقفا على قدميه ، فدهش "امبرتون" لرؤيته وقال :

- هالو "لوبين" .. من اين ظهرت ؟

وكان "امبرتون" رجلا ضخم الجسم ، له وجه أحمر ضاحك ، اقرب إلى أن يكون قصابا متقاعدا .. من كونه تاجرا للجواهر النادرة.

وكان يعجب بـ"لوبين" رغما عن خطايا الأخير .

واجاب "لوبين" بلا خجل :

- قد كنت مختبئا تحت المكتب ، لانني كنت قد اسقطت بنسا وكنت أبحث عنه .. كيف حالك ؟

فقال الآخر في صراحة :

- ليست بالحال الطيبة التي كنت أرجوها .. ومع ذلك فاظن انه لا يحق لي التذمر ، إذ إنني قد بعت الآن قلادة ماسية ثمنها الف جنيه لذلك الشخص الذي كنت أودعه خارجا .. هل رأيته ؟

فرد "لوبين" قائلا :

- لا .

* * *

الوقع انه كان كاذبا ، إذ إنه راى المستر "الفريد إيدن" بوضوح تام وقد اقلقه الغرض الذي يهدف إليه "برودز" من الحصول على قلادة ثمنها الف جنيه.

اقلقه التفكير في ذلك كثيرا في أثناء ركوبه السيارة الأجرة مع "روث إيدن" .. في طريقهما إلى حي الوست إند .. فقد كان يعرف عن "برودز تيلسون" انه كريم إلى درجة كبيرة مع معارفه من النساء .

ورغما عن ذلك فقد وجد من الصعب عليه ان يقتنع بوجود قلادة بهذا القدر مع مثل هذا الشخص المعروف بغرامياته .

وكان السر في ظنه لا يعدو احد امرين : إما ان المستر "تيلسون" قد وقع على فريسة كبيرة منذ وقت قريب ، أو ان وراء عملية الشراء شيئاً يخفى على الاعين .. وكان مما يثير "لوبين" ان يقوم من يعرفهم بالانغماس في مشروعات لايعرف عنها شيئا !!

ولاحظت الفتاة الصمت الذي ران عليه ، فتحدثت قائلة :

- لماذا اخفيت نفسك تحت المكتب يا "لوبين" ؟ .. إنني اشعر بان وراء ذلك سرأ مثيراً .

فقال "لوبين" في زهو :

- يرجع الأمر إلى الفطرة والغريزة ، حتى لا يعرفني ذلك الرجل الذي خرج الآن ، فهو من ابرع محترفي لعب الورق في العالم كله .. وكنت

قد أرحته في يوم ما من خمسة عشر جنيها ألقاها لي كطعم ليصطادني بها .

واتسعت عيناها وهي تسأله :

- هل أنت متأكد ؟ .. يا لله .. لماذا إذن لم تذكر شيئا عن ذلك للمستر "امبرتون" فورا ؟

- لأنني أود أولا أن أعرف حيلته الجديدة .. وبهذه المناسبة ألم تذكري لي يوما أنك تحبين أن تكوني شريكة في المغامرات ؟ .. حسنا يا "روث" .. ها هي ذي فرصتك .. اعرفي كل التفاصيل الخاصة بتلك العملية وكل ما يتعلق بها بدون أن تذكري شيئا لـ "الآن" .. واستغلي مقدرتك لانتزاع الأسرار بدون أن يدرك أحد أنك تقومين بالبحث والاستقصاء ، ثم أخبريني بكل شيء .. وأنا أعدك بأن "الآن" لن يقع فريسة للاحتيال .

* * *

وفي مساء اليوم التالي قابلته "روث" وهي في نشوة من نجاحها في أول مغامرة تقوم بها ، وكان من الصعب عليها الاحتفاظ بما لديها من معلومات حتى طلب لها وله شرابا .. فقالت :

- لا أعرف السر في هذه العملية على الإطلاق .. وربما يمكنك أنت ذلك ، فقد أعطى المستر "تيلسون" شيكا بثمن القلادة للمستر "امبرتون" ، وأصر -خاصة- على أن يقوم المستر "امبرتون" بصرف الشيك حتى لا توجد صعوبة في هذا الصدد .. ومن ثم فلابد أن الشيك لاغبار عليه ، وسيرسل المستر "تيلسون" القلادة إلى صديقة له في باريس بمناسبة عيد ميلادها وقد حضر أحد المثمنين من شركة التأمين اليوم لرؤية القلادة .

- ما الطريقة التي سترسل بها القلادة ؟

- عن طريق البريد .. وسيحضر المستر "تيلسون" غدا للتأكد من

إرسالها وتضمينها خطابا منه ، كما سيحضر في نفس الوقت رجل من شركة التأمين ..

وهي إجراءات رسمية كثيرة ، وإن كنت أظن أن من المفروض عليه أن يكون على حذر .. و .. والآن ما الذي تظنه سيحدث ؟ هل تظن أن "تيلسون" - أو "برودز" كما تسميه - سيصوب مسدسا علينا جميعا ؟

فتمتم "لوبين" قائلا :

- أشك في ذلك ، لأن "برودز" رجل لا يتصف بالعنف .. أضف إلى ذلك أنه لو كان الأمر كذلك لقام بهذا العمل أمس .. أتركيني أفكر في الموضوع

* * *

واضطجع في مقعده إلى الخلف .. ومضى يحدق إلى الفضاء وهو يفكر .. وكان قد اعترف أكثر من مرة أنه أبعد الناس عن حل الألغاز القديمة .. ولكن تخيل دقائق الألغاز التي قد تحدث في المستقبل أمر مختلف عن ذلك ، فعقلية "لوبين" كانت تؤدي أفضل وظائفها ، وبأسرع وقت ، في مثل هذه الأحيان وبينما هو يحدق إلى الفضاء أمامه وقعت عيناه على عنوان عريض في الصحيفة المسائية التي كان يمسك بها رجل مكتنز يجلس إلى المائدة المجاورة فاعتدل في جلسته فجأة وهو يهتف :

- لقد عرفت السر .. يالله ! .. ما أبرعه ..

- أوضح لي الأمر يا "لوبين" .

- لا ياعزيزتي .. لا يمكنني ذلك إلا فيما بعد ، ولكنك ستعرفينه إذا أحببت أن تقابليني مرة أخرى يوم السبت .. وبهذه المناسبة ما ميعاد هذا الاجتماع لإرسال القلادة بالبريد ؟

- الحادية عشرة .. ولكن اسمع .. يجب أن أخبر مستر "امبرتون" ؟

فهز "لوبين" رأسه وقال :

- يجب الا تفعلي شيئا من هذا القبيل . .اتريدين أن تدمري العملية التجارية الوحيدة التي قام بها الرجل طوال الأسبوع ؟ ألم يتسلم الثمن ؟ . دعي لي بقية العملية إذن . فهذا أمر خاص بي .

وعندما استمرت في محاولتها سؤاله ، كانت إجاباته لها تتسم بالبلاهة مما جعلها ترغب في أن تصفعه على وجهه .

وعادت إلى منزلها وهي ثائرة ، وغير مسرورة ، وغير راضية كل الرضاء عن وعده لها بإخبارها بكل القصة عند الانتهاء منها .

* * *

ولكنْ الشعور بالانفعال عاودها في صبيحة اليوم التالي عندما حضر المستر "تيلسون" إلى المكتب .

وعندما نظرت إلى وجهه وردائه الذي يشبه رداء رجال الكهنوت ، كان من الصعب عليها أن تصدق أنه نفس الشخص الذي وصفه لها "لوبين" من قبل .

* * *

وكان المستر "تيلسون" دقيقا في محافظته على الموعد ... وقد حضر بعده بقليل مندوب شركة التأمين .

فقامت "روث" بإدخال الرجلين إلى المكتب الداخلي ، ووجدت أنه من السهل عليها البقاء في المكتب في أثناء إعداد الطرد وإغلاقه . وراقبت كل العمليات بدقة حتى انتهت . وتصافح أطراف العملية ، ثم شرعوا في مغادرة المكان.

وفي كل تلك الأثناء لم تحدث أية حادثة صغيرة تجافي الإجراءات الرسمية المتوقع حدوثها في مثل هذه العملية ، بل إنها بدأت تعجب وتسائل نفسها عما إذا كان "لوبين" مخطئا في ظنه .

* * *

وفي نفس الوقت لم يكن المستر "الفريد تيلسون" على ذلك القدر من

الثقة بالنفس عندما قابل "فرد جورمان" على ناصية الطريق .

قال له وهو يتصبب عرقا :

- نعم . لقد أتممت عملية الاستبدال .، وأظنني لم أثر أية ريبة ، فقد كان ثمة فتاة في الغرفة استمرت تحدق إلي منذ الدقيقة التي وصلت فيها إلى اللحظة التي غادرت فيها المكان . . وكنت أتوقع أن تعلق بكلمة ما في أية لحظة، ولكنها أبعدت عينيها عني لحظة واحدة عندما أسقطت قبعتي من فوق المكتب . والآن هيا بنا إلى الفندق الذي أنزل فيه .

* * *

واستقلا إحدى سيارات التاكسي إلى الفندق الواقع في "بلومزبري"، حيث يستأجر المستر "تيلسون" جناحا متواضعا . .أما "فرد جورمان" فقد كان في حالة نفسية مرتفعة . ولذا قال :

- لقد تركت لخيالك العنان يا "برودز" إذ من المحتمل أنها كانت ترجو أن يكون لها صديق يهديها قلائد ثمن الواحدة منها ألف من الجنيهات..

والذي يقلقك هو أن العملية جديدة عليك . وستعتاد عليها بعد مرات قليلة . أما أنا فقد كنت أقول لنفسي و أنت تقوم بالتمرين على العملية : إن "برودز تيلسون" هو أفضل شخص يقوم بعملية الاستبدال . وإنني قد اخترت أفضل شريك لي.

* * *

وصب المستر "تيلسون" لنفسه كأسا من الشراب وجلس فوق أحد المقاعد ثم أخرج من جيب صديريته طردا كان يشبه تمام الشبه الطرد الذي أرسل بطريق البريد إلى باريس وذلك بعد أن أحكم إغلاقه في مكتب المستر "أمبرتون" وقال لشريكه :

- عليك أن تتخلص من هذه القلادة يا "فرد" إذ إنه لم يسبق لي من

قبل التعامل في المسروقات .

- ساتخلص منها ويمكننا أن نحصل بكل سهولة على أربعمائة جنيه . .ولكن ماذا يحدث بعد ذلك ؟

إن هذا الطرد الآخر الذي قمت بتسجيله في نفس الوقت سينفجر ويحرق كيس البريد في القطار . وعندما ينتهون من إطفاء الحريق سيجدون أن قلادتك مفقودة . وستخرج الصحف بقصة جديدة مثيرة عن سرقة اكياس البريد . وسيتعجب الجميع على الطريقة التي تمت بها السرقة بينما نقوم نحن بقبض أموال التامين . ويعني هذا ربحا قدره أربعمائة من الجنيهات في مقابل ساعتين عمل . .ويمكننا القيام بهذه العملية بمعدل مرة كل أسبوع حتى ينكشف أمرها .

وهنا ضرب "فرد" فخذه براحة يده ثم مضى يقول :

- يالله يا "برودز" ! كلما فكرت في الأموال التي سنجنيها نتيجة الفكرة التي خطرت ببالي . .

وفجاة سمعا صوتا رقيقا من ورائهمايقول معلقا على حديثهما :

- ربما تتمكنان من الحياة للحصول على ذلك إذا جلس كلاكما في منتهى الهدوء .

ولكن الرجلين لم يجلسا في هدوء إذ إنهما استدارا بسرعة إلى الخلف وكان كلا منهما أصيب في جانبه .

وعندئذ ابصرا "آرسين لوبين" .

وكان الباب المؤدي إلى الحمام الخاص بالمستر "تيلسون" قد فتح . ثم أغلق في أثناء حديثهما دون أن يسمعا شيئا .

واستند إليه الرجل المبتسم الذي كان يحمل في يده مسدسا اليا وهو يحركه من ناحية إلى أخرى في حركة بطيئة مكنت كلا منهما من أن يرى بعينيه فوهة ماسورته السوداء.

وتمتم "لوبين" في صوت ينم على السرور :

- من المحتمل انني أتطفل عليكما . .ولكن ذلك أمر سيئ لا مفر منه .

وظهر على وجهي الرجلين تعبيرات مشتركة من الدهشة والخوف والنقمة والهلع والغضب وكانهما ثوران تعرضا لصدمة كهربائية غير متوقعة من حشائش بريئة المظهر .

وهنا عاد إلى المستر "تيلسون" صوته فقال في لهجة ثاقبة :

- يا إله الرحمة . . إنه الرجل الذي كنت أحدثك عنه .

وهنا رد عليه "فرد" في وحشية :

- إنه أيضا نفس الشخص الذي كنت احدثك عنه .. إنه ذلك القذر الذي أخذ مني ثلاثين جنيها في "الكسندرا" ثم . .

واستدار رأسا الرجلين حتى أصبح كل منهما ينظر في عيني زميله ليستشف الروح التي تكمن وراءهما .

وهنا ابتعد "لوبين" عن الباب وتقدم نحوهما وهو يقول :

- إنه عمل يدل على البراعة المطلقة يا "فرد" وذلك إذا سمحت لي بالتعليق عليه . .وإن كان مع ذلك ليس بدعة جديدة ومع ذلك ففيه من الجدة ما يكفي ... ولقد كان شعورا طيبا منك إلى حد كبير أن تقوم بهذا العمل الشاق من اجلي :

وهنا ساله مستر "تيلسون" في ضعف :

- ماذا انت فاعل ؟

وهنا أخذ "لوبين" الطرد من بين يديه وقال :

- أريحك من هذا الطرد المزعج يا أخي . .إنها قلادة جميلة جدا وإن كنت اظن انه لن يمكن أن تتحلى بها فقد يظن الناس أن الأمر جد غريب.

- سابلغ الشرطة عنك لفعلك هذا يا . .

وهنا رفع "لوبين" حاجبيه وقال :

- الشرطة ؟ لتقول لهم إنني قد سرقت منك قلادتك ولكنني فهمت من

حديثك أن القلادة في البريد في طريقها إلى فتاتك الصغيرة الموجودة في باريس فهل انا مخطئ يا "فرد" ؟

ابتلع المستر "تيلسون" لعابه بصعوبة .. وهنا قفز "فرد" من مقعده قائلا :

- لعنة الله على الشرطة .. إنني سأسوي حسابي مع هذا المدعي. إنه لن يجرؤ على إطلاق النار .

وهنا قال "لوبين" في رقة :

- ولكنك مخطئ في ذلك .. ولن يكون لدي أي اعتراض على إطلاق النار عليك إذا كان ذلك ما تطلبه .. ولقد مضى علي وقت طويل منذ آخر مرة أطلقت فيها النار على شخص ما .. وأخاف إذ انقضت فترة طويلة دون تدريب أن أشعر بالجبن ولذا أرجو ألا تضطرني إلى ذلك يا "فرد" لأنني أشعر بأنني في حالة عصبية

ومع ذلك كانت عينا "لوبين" الزرقاوان ثابتتان ثبات المسدس في يده.. أما نظرة "فرد" فهي وحدها التي ظهر عليها التردد .. وهنا قال "لوبين" في صوت ودود :

- سأضطر إلى تقييدكما حتى أتمكن من الخروج ولذلك هل يمكنكما أن تستديرا وسيكون في مقدوركما أن تفكا قيودكما بسرعة بعدما أذهب .

وهنا قال "فرد" في احتجاج و "لوبين" يقيد معصميه :

- إنك لا ترضى أن تكون شريكا في الاحتيال على شركة تأمين .. أليس كذلك ؟

فقال "لوبين" في براءة وطهر :

- إنني لن أكون شريكا في أي عملية احتيال فما أنا سوى لص شريف ليس لوثائق التأمين الخاصة بكما أية علاقة بي.

وكان قد انتهى من تقييد الرجلين فقام بعد ذلك بتكميم فميهما في خشونة مستعملا في ذلك مناديلهما ثم تراجع في هدوء .. وبطء .. نحو الباب .. وخرج منه .

- ٢ -

الانتقام

فتح باب مكتب "بارنيت" ودخل منه رجل طويل القامة ، قوي العضلات ، مفتول الشاربين .. تدل تقاطيع وجهه على انه إيطالي الجنسية .

ودخلت في إثر هذا الرجل فتاة في مقتبل العمر ، ممتقعة اللون، تحمل بين ساعديها طفلا حديث الولادة .

فنظر "بارنيت" إلى الرجل ، ثم إلى الفتاة ، والطفل .. ومرت في جسده قشعريرة .. تساءل .. ترى هل رزق بهذا الطفل في إحدى مغامراته الغرامية ؟

ولكنه اطمأن وتنفس الصعداء .. حين أمعن النظر في وجه الفتاة... وتأكد انه يراها لأول مرة

قال الإيطالي بلغة فرنسية سقيمة :

- هل لي شرف التحدث إلى مسيو "بارنيت" ؟

فأجاب "بارنيت" :

- أظن ذلك

فهتف الإيطالي :

- إذن فأنت الرجل الذي نبحث عنه ..

- وهنا غاص قلب "بارنيت" بين جنبيه مرة أخرى .. ونظر إلى الفتاة للمرة الثالثة ثم أشعل لفافة تبغ وقال :

- تفضل بالجلوس ياسيدي ، وأنت كذلك يا سيدتي .. هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لكما ؟

فسأل الإيطالي :

- هل يقوم مكتب "بارنيت" بالاستعلامات .. وأعمال البوليس السري؟!

فأجاب "بارنيت" :

- ذلك مكتوب بباب المكتب

فقال الإيطالي وهو يقدم نفسه إلى محدثه بحركة مسرحية :

- أنا ادعى (دومنيك تكارو)

فغمغم "بارنيت" في لطف :

- هذا بديع .

وأشار بإصبعه إلى الفتاة والطفل وسأل :

- وهؤلاء أعضاء أسرتك المحترمة ؟

فأجاب "تكارو" :

- هذه "ماري" ابنتي . والطفل طفلها .. ولكنه طفل بلا أب

واغرورقت عينا الرجل بالدموع فجأة فقال "بارنيت" :

- هذا إهمال بشع من جانب ابنتك . لماذا لاتعرف والد طفلها!

فأجاب "تكارو" :

- إنها تعرف والده ... وهو يدعى "جوزيف رولفيري" .. الم تسمع بهذا الاسم ؟

- بل سمعت به .

* * *

والواقع أن "بارنيت" قرأ في الصحف تفصيلات قضية التزوير الشهيرة التي لعب "رولفيري" أهم دور فيها . ثم استطاع أن ينجو من العقاب

كانت قضية من أهم قضايا التزوير .. وقد أحدثت في باريس منذ شهور ضجة هائلة

وتتلخص هذه القضية في أن "رولفيري" هذا استطاع مع أربعة من أعوانه أن يزوروا عدداً كبيراً من سندات بلدية (كاليه) . وقد اكتشف أمرهم بعد أن روجوا السندات المزورة وتخلصوا منها . فقبض البوليس على الشركاء الأربعة . وقدموا إلى محكمة الجنايات حيث حكم على كل منهم بالسجن مع الشغل عشرة أعوام .

أما "رولفيري" نفسه . الذي كان يعتبر رئيس العصابة . فإنه استطاع الفرار في الوقت المناسب ، وفي الوقت الذي كان فيه زملاؤه يصغون إلى حكم محكمة الجنايات . كان هو يتمتع بحريته في قصره الفاخر في "سان ريمو" بسويسرا .

وهكذا نجا ذلك المجرم من العقاب . لأن من أسس القوانين الدولية الا تسلم إحدى الدول واحداً من رعاياها ليحاكم في دولة أخرى .. وكان "رولفيري" يتمتع بالرعوية السويسرية .. ولذلك فإنه أمن شر العقاب .

* * *

قال "بارنيت" وهو ينظر نحو الطفل :

- وكيف حدث ذلك ؟

فأجاب "تكارو" :

- إنني أملك مطعماً صغيراً بالقرب من الشانزلزيه . وقد اعتاد

"رولفيري" أن يتردد على هذا المطعم لأنه من عشاق (المكرونة) .

وكانت ابنتي تعمل معي في المطعم . وهي حسناء كما ترى يا سيدي . فرآها "رولفيري" وأعجب بها . وكان كلما فرغ من طعامه ذهب إلى حيث تجلس ابنتي لكي يدفع لها ثمن الطعام . ثم كان ينتهز الفرصة ليجاذبها أطراف الحديث .

وفي أحد الأيام . طلب إليها أن ترافقه في نزهة خلوية .

* * *

وكان "تكارو" يتكلم بصوت حزين متهدج . فرأى "بارنيت" دمعة تسيل على خده هي دمعة الوالد الحزين المشفق على شرف ابنته التعسة

استطرد "تكارو" :

- كانت تبدو على الرجل علامات الكرم والنبل والوقار ، فلم يداخلني شك في حسن نواياه . ولذلك لم أمنع ابنتي من مرافقته .

وتكررت دعوات "رولفيري" فكان يخرج للنزهة مع "ماري" في أيام الآحاد ..

ويقدم إليها الهدايا . وكانت تصرفاته جميعاً تدل على أنه مولع بها . وسرني في الواقع أن توفق "ماري" إلى زوج ثري مثله .

وفي أحد الأيام . لاحظت على ابنتي تضخما . وأدركت أنها توشك أن تلد ..

وأقول لك الحق يا مسيو "بارنيت" إن الدنيا اسودت في عيني في ذلك اليوم .. حتى هممت بالبطش بابنتي المحبوبة .

صرخت في وجهها :

- «ماذا فعلت أيتها الشقية التعسة» .

فلزمت الصمت أولا . ثم اعترفت لي بكل شيء وهي تبكي .

اعترفت لي بأنه ثلم شرفها . فلطمت خدي لهذه المصيبة .

* * *

ومن الإنصاف للسنيور "تكارو" أن نقول إنه لطم خده فعلا وهو يسرد القصة على مسامع "بارنيت"

استطرد الرجل :

- لطمت خدي . ورأيت شبح العار والفضيحة .. فصرخت :

«يجب أن أقتل هذا الشقي» .

ولما هدأت ثائرتي .. وفكرت في الأمر مليا .. وجدت أن أفضل وسيلة لدرء الفضيحة هي إقناع "رولفيري" بالاقتران بابنتي .. فإذا اقتنع كان بها وإلا فإنني أثأر لشرفي بقتله ...

ولا أعلم كيف شعر الشقي بما اعتزمته ، لأنه انقطع فجأة عن التردد على المطعم .. فذهبت إليه في مكتبه فقيل لي إنه ليس موجودا .

ذهبت إليه في منزله . فقال الخدم إنه خرج .

بعثت إليه بآلاف الرسائل ولكني لم أتلق رداً .

ومرت الأيام بسرعة .

وأخيراً كتبت إليه أنذره بإبلاغ الأمر إلى البوليس إذا لم يسرع إلى مقابلتي لتصفية الحساب ... وتسوية الموقف .. فرد على خطابي بقوله إنه سيقابلني بأسرع ما يمكن ..

ولكنه جبن ولم يحضر لمقابلتي ..

ثم علمت أنه سافر إلى (سان ريمو) بسويسرا ، فكتبت إليه هناك ،

ورد علي بانه سيسرع لمقابلتي حال عودته إلى باريس .

وفي أحد الأيام قرات في الصحف انه مجرم مزور ، وأن البوليس يبحث عنه .

وهكذا أصبحت "ماري" امراة بلا زوج . وانقطع الأمل في عودة "رولفيري".

فهز "بارنيت" رأسه بحزن وقال مشفقا :

- هذا محزن . ولكن ماذا في استطاعتي أن أفعل ؟ أنا بالتأكيد لست على استعداد للتزوج بابنتك ..

فاعتدل "تكارو" في مقعده وقال :

- عفوا ياسيدي .. إنني لا اطالبك بهذا .. ولكني أحتاج إلى معونتك .. بصفتك مدير مكتب "بارنيت" للاستعلامات وأعمال البوليس السري الخاصة . والمهمة التي أرجو أن تضطلع بها خدمة للإنسانية ورحمة بهذه البنية التعسة وطفلها هي مهمة تتطلب الكتمان

إنني قد أعددت العدة لهذه المهمة ياسيدي .. أعددتها بإتقان عظيم .. بمعونة بعض أصدقائي هنا في باريس وفي (سان ريمو) . لم ابخل ولم يبخل علي أصدقائي بالمال اللازم لإنفاذ مشروعي

ويتلخص هذا المشروع في اختطاف "رولفيري"، وإحضاره إلى باريس في إحدى الطائرات ، وقد ابتعنا الطائرة ، ولا ينقصنا الآن سوى الشخص النشيط الكتوم الذي نستطيع أن نعهد إليه بقيادة الطائرة .

وقد قيل لي يا سيدي إنك تجيد قيادة الطائرات .

* * *

وفجاة .. وبغير إنذار .. ارتمى الأب التعس فوق قدمي "بارنيت" واستطرد بلهجة التوسل والضراعة :

- إنني أعفر جبهتي تحت قدميك يا سيدي ، وأرجوك أن تساعدنا حتى لايكون لابنتي طفل بلا أب .

فشعر "بارنيت" بالإشفاق على هذا الأب التعس ، ولكنه رفض قبول المهمة قبل أن يعلم المزيد من الإجراءات التي اتخذها "تكارو" لاختطاف "رولفيري" ..

وعندئذ راح الرجل يوضح له خطته بالتفصيل . فقال إنه وبعض أصدقائه قد اتفقوا على الانتقام بانفسهم من جوزيف رولفيري" بما طبع عليه الإيطاليون من حب الأخذ بالثار ، وإن واحداً من أولئك الأصدقاء قد التحق بخدمة "رولفيري" في قصره "بسان ريمو" لكي يساعد على اختطاف ذلك الشقي .. وإن الآخرين دبروا حادث الاختطاف تدبيرا متقنا لم يتركوا فيه شيئا للمصادفات .. وإن "تكارو" نفسه استاجر قصراً وسط الحقول خارج باريس لكي يسجن فيه "رولفيري".. وأنه عني بإعداد العدة لهبوط الطائرة في تلك الحقول.. كما أنه ابتاع طائرة خاصة لاستخدامها في نقل "رولفيري" من "سان ريمو" إلى ذلك القصر .. ولم يبق إلا الحصول على الشخص الأمين الذي يتولى قيادة الطائرة .

فساله "بارنيت" :

- هب أن الخطة نجحت .. وأن "رولفيري" قد اختطف .. وجيء به إلى القصر الخلوي الذي استاجرته خارج باريس .. فماذا في نيتكم أن تصنعوا به ؟

فاجاب "نكارو" على الفور :

- في نيتنا أن نرغمه على الاقتران بـ"ماري" .

- كيف ترغمونه على ذلك ؟

فابتسم "نكارو" وقال :

- كن مطمئنا .. إننا نعرف كيف نرغمه .. وسوف تشهد بعيني رأسك حفلة الزواج .

* * *

وقد فكر "بارنيت" في الأمر ملياً .. ووجد أن المشروع لايكلفه كثيراً من الجهد ، ولكنه يؤدي إلى إسعاد "ماري" التعسة .. والانتقام من "رولفيري" .. ذلك المجرم الذي يبحث عنه رجال البوليس .

وما كاد "بارنيت" يعبر عن استعداده لقيادة الطائرة ، وإنفاذ الخطة التي وضعها "نكارو" حتى هجم عليه هذا الأخير وتناول يده عنوة .. وراح يقبلها .

واخرج من جيبه رزمة من الأوراق المالية قدمها إلى "بارنيت" فرفضها هذا بقوله :

- إن مكتب "بارنيت" يؤدي اعماله مجاناً لخدمة الإنسانية والعدالة .

* * *

وفي اليوم المحدد للعمل قصد "بارنيت" إلى مطار (بورجيه) وتفقد الطائرة .. واستوثق من أدواتها .. وبدأ رحلته .

وما إن حلقت الطائرة في الجو حتى أسرع "نكارو" فابرق إلى أصدقائه في (سان ريمو) للاستعداد للعمل في ذلك المساء .

ولم يسع "بارنيت" إلا الاعتراف بأن "نكارو" واصدقاءه قد دبروا خطتهم احسن تدبير لأنه لم يكد يصل إلى مطار (سان ريمو) حتى قابله أحد أعوان "نكارو" وطلب إليه أن يستعد للعودة إلى باريس في الساعة الثامنة مساء .

وفي الساعة الثامنة مساء رأى موكباً يجتاز المطار .. وأبصر بالفتاة "ماري" تدفع أمامها مقعداً كبيراً ذا عجلتين ، وقد جلس في ذلك المقعد رجل شاحب اللون عرف فيه "بارنيت" ذلك الشقي المزور "جوزيف رولفيري" الذي نشرت جميع الصحف صورته الفوتوغرافية غداة القبض على شركائه في قضية تزوير سندات بلدية (كاليه) وقد أدرك "بارنيت" في الحال أن الرجل حقن بمادة مخدرة لمنعه من الاستغاثة او فضح الخطة .

وقد أقبل مع "ماري" و"رولفيري" رجل آخر قريب الشبه من "نكارو" يضع على عينيه نظارة سوداء كبيرة وقد قدم هذا الرجل نفسه إلى السلطات ذات الشان بانه الطبيب الخاص بالمريض والمريض هو "رولفيري" ، وانه سيرافق المريض في رحلته إلى باريس حيث يجري له بعض الإخصائيين عملية جراحية مستعجلة .

وكان التخلص من السلطات ذات الشان هو أهم جزء في الخطة ، ولكن "نكارو" وأعوانه كانوا قد استعدوا لذلك أحسن استعداد واعدوا الأوراق وجوازات السفر اللازمة .

وحوالي الساعة التاسعة .. حلقت الطائرة في جو (سان ريمو) ، واتخذت وجهتها شطر باريس .

وكانت الرحلة الجوية موفقة .. فلم يقع من الحوادث ما يستحق الذكر اكثر من أن "رولفيري" عاد إلى وعيه ووجد نفسه بين السماء .. والأرض فتعاونت "ماري" و الطبيب الزائف على شد وثاقه وتكميم فمه .

* * *

وصلت الطائرة إلى ضواحي باريس قرب الفجر . وهبطت في الحقل المجاور للقصر الخلوي .

وماكادت تهبط حتى خرج "تكارو" مسرعا . وهتف وهو يكاد يرقص طربا :

- هل جئتم به ؟

فاجابه "بارنيت" :

- نعم .. ومن الأوفق أن تسرعوا في نقله إلى القصر قبل أن يشعر أحد بوجود الطائرة

- وتعاون "بارنيت" معهم على نقل الرجل وهو موثق اليدين والقدمين مكمم الفم

ونظر "تكارو" إلى غريمه نظرة حقد وشماتة . ثم تأبط ساعد "بارنيت" ،وسار به نحو الباب وهو يقول :

- إنني عاجز عن شكرك يا سيدي . لقد اعددت لك سيارة لتذهب بها إلى باريس إذا شئت .

فقطب "بارنيت" حاجبيه وسأل :

- الا استطيع شهود حفلة الزواج ؟

فاجاب "تكارو" :

- بالتاكيد .. بالتاكيد ولكنها ستقام فيما بعد . لقد كنت في حالة من الإسراع نسيت معها بعض الأدوات اللازمة وفي مقدمتها قطعة الصابون

فنظر إليه "بارنيت" في دهشة وسأل :

- قطعة الصابون ؟ هل تريدون إرغامه على الاستحمام قبل الزواج؟

فصاح "تكارو" وهو يضحك :

- كلا .. كلا .. إنك لا تستطيع أن تفهمني . قطعة الصابون ليست

للاستحمام ، وإنما لحمله على الاقتناع والقبول . وسوف ترى بعيني رأسك في الوقت المناسب . نعم . سأدعوك في الوقت المناسب . أما الآن فإنك تستطيع أن ترحل إذا شئت ، مزودا بشكري وامتناني .

فنظر إليه "تكارو" مدهوشا ثم هز كتفيه وقال :

- على رسلك ياصاح .. والواقع ان عندي من الأعمال مالا يسمح لي بإضاعة وقتي في مراقبة طريقة استخدام الصابون في حمل احد الناس على الزواج رغم انفه قال "تكارو" :

- سامر بمكتبك غدا لاسترداد هذه السيارة

- لاباس

ووثب "بارنيت" إلى السيارة ، وانطلق بها كالسهم .

* * *

على انه لم يكن خالي الذهن من الموضوع .

كان قد سمع في حياته عن وسائل كثيرة من وسائل التهديد والإرغام ، ولكنه لم يسمع قبل تلك الليلة ان قطعة الصابون البريئة يجوز إدماجها ضمن وسائل الإرغام والضغط الادبي أو المادي ، اللهم إلا أن يكون للسنيور "تكارو" وذويه راي سيئ جدا في نظافة "رولفيري" ، وأن يكون مجرد تهديده بالاغتسال هو في اعتقادهم افضل وسيلة لإرغامه على الزواج

وفكر في أن نية القوم ربما كانت منصرفة إلى تلطيخ "رولفيري" بالأوحال .. ثم تنظيفه بالماء والصابون .. أو حمله على أكل قطعة الصابون كما كان ياكل المكرونة في مطعم "تكارو" .

مهما يكن من أمر فقد أصبحت قطعة الصابون في لمح البصر مشكلة المشاكل في نظر "بارنيت" .

* * *

على ان "بارنيت" لم يكن بالرجل الذي يسمح للفضول بان ينهش قلبه ، ولذلك فإنه انطلق بالسيارة حتى ابتعد بها عن القصر.. ثم أوقفها إلى جانب الطريق .. وعاد أدراجه سيراً على قدميه .

ولما اقترب من القصر .. أرهف السمع .. ثم واصل السير في حذر. ودار حول بناء القصر، وانتهى امام نافذة المطبخ .. فعالجها بلباقه ، وتمكن من فتحها ، ثم وثب منها إلى الداخل .. واخذ يشق طريقه مستعيناً بمصباح كهربائي معه حتى وصل إلى الغرفة التي ترك فيها "رولفيري" واعداءه .

* * *

كان باب الغرفة مغلقا .. فاطل "بارنيت" من ثقب القفل .. ورأى "تكارو" يتحدث إلى الرجل الآخر الذي قام بدور الطبيب ، وقد رفع الطبيب الزائف النظارة عن عينيه .. وعندئذ لاحظ "بارنيت" الشبه العجيب بينه وبين "تكارو" .. وادرك أن الرجلين شقيقان .

اما "رولفيري" فكان ملقى على احد المقاعد وهو لايزال مشدود الوثاق .

واما "ماري" فكانت تدخن .. وقد جلست على احد المقاعد ووضعت ساقا على ساق ، فكشف ثوبها عن جوربها إلى ما فوق الركبتين ، وهي جلسة عجيبة لاتتفق بحال مع طبيعة موقفها كفتاة ساذجة ثلم شرفها. وتنتظر ان يصلح الرجل الذي اعتدى عليها ما افسده .

تحدث الشقيقان طويلا باللغة الإيطالية .. ثم انثنى "تكارو" إلى "رولفيري" وساله :

- والآن .. ماذا اعتزمت ؟

فاجاب "رولفيري" بحدة :

- مهما فعلتم بي .. فإنكم لاتستطيعون إرغامي على أن ادفع سنتيما

واحداً .

فقال "تكارو" :

- هذا صحيح .. ولكن دعني أوضح لك موقفك ، واضع أمام ناظريك المتاعب التي يعرضك لها هذا الرفض :

إنك الآن في باريس ، حيث يريد رجال البوليس أن يضعوا ايديهم عليك باي ثمن ، لكي تكفر عن جريمة التزوير التي أرسل شركاؤك إلى السجن بسببها .

ولعلك تعلم ماذا ينتظرك إذا قبض عليك : عشرة اعوام في السجن مع الأشغال الشاقة ، اسوة بزملائك على الأقل .. وليس أيسر علينا الآن من أن نتركك هنا مكتوف اليدين والقدمين ، ونرشد البوليس إلى مكانك .

إن مائة الف فرنك ليست مبلغا جسيما ، فاشتر حريتك ونجاتك بهذا المبلغ التافه .

فنظر "رولفيري" إلى ارض الغرفة ، وفكر لحظة .. ثم قال :

- ساعطيك خمسين الفا فقط

فقال "تكارو" :

- نحن نطالب بمائة الف فرنك لاتنقص سنتيما واحدا .. إما هذا المبلغ وإما تسليمك للبوليس ، فكر في الأمر مليا .. هانتذا قد بدأت تدرك اهمية المرونة والتفاهم فكن عاقلا حكيما ، وادفع المبلغ الذي نطالبك به ، فنطلق سراحك ، ونمهد لك السبيل لمغادرة فرنسا قبل بزوغ الشمس وليس اسهل علينا أن نوهم ذلك المغفل "بارنيت" بانك نزلت على إرادتنا دون أن نضطر إلى الالتجاء إلى الصابون . واننا اسرعنا بإبرام عقد الزواج قبل أن تغير رأيك. ومن المؤكد أن يوافق على

العودة بك إلى (سان ريمو) في الحال، فلا يعود ثمة ماتخشاه .

فقال "رولفيري" كأنه يشجع نفسه :

- ليس ثمة ما أخشاه الآن .. لأنكم لاتفيدون شيئا من وراء تسليمي إلى البوليس .

فقالت الفتاة بلهجة لاتدع مجالا للشك في أن المسألة ليست مسألة زواج ولكنها حادث احتيال يراد به سلب الرجل بعض ماله بالتهديد والوعيد :

- هذا صحيح .. إن تسليمك الى البوليس لايفيدنا شيئا .. ولكنه يكون أفضل جزاء لك نظير ما أضعناه من الوقت والمال

وقال الطبيب الزائف

- إنك جمعت من جريمة التزوير مبالغ طائلة .. فماذا يضيرك لو نزلت لنا عن جانب تافه من هذه المبالغ ؟

- ولكني لا أملك في فرنسا كل هذا المبلغ الذي تطلبون ؟

فأجاب "نكارو" بصوت أجش :

- بل أنت تملك أضعاف هذا المبلغ في البنك السويسري الفرنسي باسم (بيير فونتان) .. ومعنا تحويل على هذا البنك لاينقصه سوى إمضائك .

كل ما نطالبك به الآن هو أن توقع باسمك على هذا التحويل ، وتكتب بخطك خطابا إلى البنك لصرف المبلغ لحامله حالا .

أسرع ، ولا تضيع الوقت سدى ، لقد بدأ صبرنا يفرغ .

* * *

وكان من الطبيعي أن تستمر المساومة بعض الوقت ، ولكنها انتهت

إلى النتيجة المقررة ، فوقع "رولفيري" باسمه على التحويل ، وكتب بخطه رسالة إلى البنك .

قال بعد أن فرغ من ذلك :

- والآن .. أطلقوا سراحي ودعوني أذهب

فأجابه "نكارو" :

- سنطلق سراحك عندما يذهب أخي إلى البنك ويعود بالمبلغ في جيبه ، وقبل ذلك لايمكن أن نطلق سراحك

* * *

سمع "بارنيت" هذا الحديث .. وأدرك أن وقت العمل لم يحن بعد ، فعاد أدراجه من حيث أتى .. وانطلق إلى المكان الذي ترك فيه السيارة ووثب إليها .. وقصد بها إلى مكان بعيد عن الطريق الذي يتوقع أن يمر به شقيق "نكارو" في ذهابه إلى باريس وعودته منها .

ثم تمدد "بارنيت" في السيارة وأغمض عينيه .

* * *

وحوالي الساعة التاسعة أبصر "بارنيت" سيارة شقيق "نكارو" وهي تشق طريقها نحو القصر .. فتمهل قليلا ، ثم وثب إلى سيارته وأسرع بدوره إلى القصر

وطرق الباب .. وفتحته الفتاة ، وقصد "بارنيت" توا إلى الغرفة التي كان بها "رولفيري" .. فرأى الرجل لايزال مشدود الوثاق، ورأى الشقيقين يتحدثان بصوت خافت وعلى وجههما علامات البشر والسرور .

ووقع بصر "نكارو" على "بارنيت" ، فجمد في مكانه لحظة ، ثم هتف:

- أهذا أنت أيها الصديق العزيز ؟ إنك جئت في الوقت المناسب . لقد أوشكت أن أذهب إليك لأرجوك أن تعود بصهري العزيز إلى (سان ريمو).

فقال "بارنيت" كأنه لايصدق أذنيه :

- صهرك العزيز ؟ لقد جئت وبودي أن أشهد حفل الزواج

فابتسم "تكارو" وقال :

- إنه وافق على الزواج من "ماري" دون أن يضطرنا إلى الالتجاء إلى قطعة الصابون وقد وقع بإمضائه على وثيقة اعترف فيها ببنوة الطفل. وكنت الآن على وشك أن أحل وثاقه .

فسأل "بارنيت" :

- إذن فكل شيء الآن على مايرام .

- نعم أيها الصديق الكريم ، والفضل في ذلك لك

فقال "بارنيت" وهو يبتسم :

- في هذه الحالة أرجو أن ترفعوا أيديكم

ورأى الرجلان والفتاة مسدساً مصوبا إليهم . ولكن "تكارو" رفض أن يصدق عينيه فغمغم :

- ما هذه الدعابة ؟

فضحك "بارنيت" وقال :

- إن المهزلة يجب أن تنتهي بدعابة .

ثم مد يده إلى جيب شقيق "تكارو" وأخرج رزمة من الأوراق المالية ودسها في جيبه وهو يقول :

- إنها دعابة قاسية فيما أعتقد ... ولكنها عادلة .. إنكم أسرة ذكية

موهوبة . وفي استطاعتكم أن تغروا أنفسكم بأنكم خدعتموني طيلة الأيام الأخيرة ... وضحكتم مني أولا ، فليس غريبا أن أضحك منكم أخيراً .

إنني لا أتمالك من الارتجاف كلما فكرت في أن الحيلة كانت تجوز علي إلى النهاية . لولا حكاية الصابون

فصاح "تكارو" في حنق :

- صبراً أيها الخنزير حتى أقابلك مرة أخرى .

فأجاب "بارنيت" :

- إنني في انتظارك أيها الأخ العزيز

وأخذ يتراجع إلى الوراء والمسدس لايزال في يده ..

* * *

وقد رأى "رولفيري" وسمع وهو مدهوش مشدوه .. ولكنه أدرك حقيقة الموقف في آخر لحظة . فصاح بـ "بارنيت" :

- صبراً .. صبراً .. كيف أعود إلى (سان ريمو) ؟

فأجاب "بارنيت" :

- علم ذلك عند الله والسنيور "تكارو" . فمن المحتمل أن يساعد السنيور على الفرار إذا نقدته مبلغا آخر من المال . والواقع أن مائة ألف فرنك مبلغ تافه بالقياس إلى عشرة أعوام أشغال شاقة .

ثم التفت إلى "تكارو" واستطرد :

- ونصيحتي لك ألا تنسى قطعة الصابون في المرة المقبلة أيها الصديق .

وأغلق الباب .

- ٣ -

قبلة تساوي نصف مليون فرنك

كانت حفلة ساهرة من أعجب الحفلات .. ليس فقط لأنها جمعت بين "بارنيت" و"بيشو" وسط طبقة من أرقى طبقات الهيئة الاجتماعية في باريس .. وإنما كذلك لأن "أرسين لوبين" وعد بالاشتراك فيها .

وكانت صاحبة هذه الحفلة هي السيدة "تيلار" .. التي اشتهرت بأنها تملك أربع سيارات (رولزرويس) وماسة يقدر ثمنها بنصف مليون فرنك تتدلى من عقد فوق صدرها وثروة واسعة ورثتها عن زوجها الذي كان بقالا حقيراً .. ثم جازف برأس ماله في المضاربات وارتفع في سنوات قلائل إلى صف رجال المال الذين يشار إليهم بالبنان .

وقد وضعت السيدة "تيلار" نصب عينيها بعد وفاة المرحوم زوجها أن تستمتع بحياتها وشبابها كما يحق لها أن تستمتع وأن تتبوأ في الهيئة الاجتماعية المكانة التي تؤهلها لها ثروتها الواسعة . فكان حب الظهور هو غايتها ، والمال هو وسيلتها .

وقد استطاعت بفضل حفلاتها الساهرة ، وسياراتها الفاخرة ، والماسة الرائعة التي تتألق فوق صدرها ، استطاعت بفضل ذلك كله أن تدس بنفسها في أوساط لم تكن تحلم بها قبل أن يتحول زوجها من بقال إلى رجل من رجال المال والأعمال .

وعندما ابتاعت السيدة "تيلار" تلك الماسة المشهورة باسم ماسة (كريزر) أعلنت الصحف هذا النبأ بحروف بارزة .. وقد قررت السيدة أن تتزين بالماسة الشهيرة لأول مرة في تلك الحفلة الساهرة ، التي

اقامتها في قصرها ، ودعت إليها جميع اصدقائها و صديقاتها .

* * *

كان "بارنيت" يسير في صالة القصر الكبرى متابطا ساعد صديقه المركيز "دومبريا" سفير إيطاليا في باريس الذي عرفه عقب حادث سرقة ملايين بنك إيطاليا ، حين التقت عيناه فجأة بعيني "بيشو" .

وجمد مفتش البوليس في مكانه كانه رأى شبحا ، ولكن "بارنيت" لم يعبأ به ، بل واصل السير وهو يبتسم .

وبعد بضع دقائق ، حانت من "بارنيت" التفاتة ، فرأى "بيشو" يتعقبه ، وينظر إليه كما تنظر القطة إلى الفار قبل أن تثب عليه .

والتقى المركيز (دومبريا) بسيدة يعرفها ، فحياها ، واخذ يتحدث إليها .

وهنا شعر "بارنيت" بيد توضع على كتفه فنظر خلفه ، ورأى "بيشو" ينظر إليه شزرا قال "بارنيت" متصنعا الدهشة :

- أهذا أنت ! ماذا جاء بك إلى هنا ؟

فاجاب "بيشو" :

- و ماذا جاء بك أنت إلى هنا ؟

- يا لله . ما اعجب اطوارك يا عزيزي "بيشو" . اتجد من الغرابة أن ارافق صديقي المركيز (دومبريا) سفير إيطاليا في باريس إلى إحدى الحفلات الساهرة ؟

فنظر "بيشو" حوله . ثم اقترب من "بارنيت" وقال له في صوت خافت :

- اصغ إلي . إنني مكلف رسميا بحراسة مدام "تيلار" والمحافظة على ماسة (كريزر) فإذا خطرلك ..

فقاطعه "بارنيت" :

- دعني اهنئك على هذه الثقة الغالية يا عزيزي "بيشو" . وكن على يقين من انني لن اتردد في مساعدتك في هذه المهمة الخطيرة إذا شعرت بحاجة إلى مساعدتي .

فنظر إليه "بيشو" شزرا وقال :

- انت قرات الصحف بالتاكيد ؟

- نعم . ولكني لم اصدق كلمة واحدة مما ذكرته هذه الصحف عن رسالة التهديد التي تزعم السيدة أن "ارسين لوبين" بعث بها إليها مهددا بان يسرق الماسة في هذه الحفلة .

- لاتصدق ؟؟

- لاتنس ياعزيزي "بيشو" أن مدام "تيلار" امراة مولعة بحب الظهور والشهرة وفي اعتقادي أن حكاية "ارسين لوبين" واعتزامه سرقة العقد الليلة ليست إلا زعما باطلا ترمي به السيدة إلى الشهرة . لانها تعلم أن أولئك الذين يطمعون في رؤية "لوبين" اكثر بكثير من أولئك الذين يطمعون في مشاهدة "الماسة .

فقال "بيشو" مهددا :

- لقد أردت أن اقول لك إنني لن أتردد في إطلاق الرصاص على أي شخص تحدثه نفسه باختطاف الماسة .

فاجاب "بارنيت" متحمسا :

- هذا خير ماتفعل ، وفي اعتقادي أن "لوبين" لو علم بهذا القرار لفكر مرتين قبل أن يختطف الماسة ، ولكن يا لله ، إنك فاجاتني مفاجاة انستني أن اهنئك .

- تهنئني ؟

- نعم .هانذا أرى انك ابتعت رباط رقبة جديدا .

فعض "بيشو" على شفته وهم "بارنيت" بالابتعاد وهو يبتسم .

فقال "بيشو" :

- حدثني يا "بارنيت" ماذا جاء بك إلى هذه الحفلة ؟

– كن مطمئنا يا عزيزي "بيشو" . إذا كنت تتوهم أن مدام "تيلار" تعتقد أنني أمهر من رجال البوليس في حراسة ماستها ، وأنها استدعتني لأقوم بهذه الحراسة فأنت مخطئ .. إن زيارتي بريئة ، خالية من أية صبغة بوليسية . وأنا على استعداد لأن أقسم لك بأن مدام "تيلار" لم تذهب إلى مكتب "بارنيت" وشركاه .

* * *

ومضى "بارنيت" في سبيله إلى حيث كانت مدام "تيلار" تتحدث إلى فتاة أنيقة رشيقة ..

قالت مدام "تيلار" :

– أرى أنك وحيد يا مسيو "بارنيت" . دعني أعرفك بصديقتي العزيزة الآنسة "روزموند أرميتاج" ، ابنة عم الكونت "تيرل" . إنها تجيد كل أنواع الرقص ، وأعتقد أنه يسرها أن تراقصك متى بدأ الرقص .

فحني "بارنيت" قامته باحترام أمام تلك الغادة الهيفاء . وعندما رفع رأسه التقت عيناه بعيني الفتاة . ونظر كل منهما إلى الآخر بحدة .

قالت مدام "تيلار" فجأة :

– يخيل إلي أنكما تقابلتما قبل الآن ؟

فأجاب "بارنيت" على الفور :

– نعم .. لقد تقابلنا .

ثم تحول إلى الفتاة واستطرد :

– ألم نتقابل في مطار (بورجيه) يوم كان في نيتك السفر إلى (اوستند) ؟

فأجابت الفتاة بصوت خافت :

– أظن ذلك .

وأقبلت في هذه اللحظة إحدى المدعوات ... وراحت تتحدث إلى

مدام "تيلار" ..

وعزفت موسيقى الرقص ، فأحاط "بارنيت" خصر "روزاموند" بساعده قبل أن تسمح له الفتاة بذلك ، واجتذبها إلى حلبة الرقص .

قال "بارنيت" بصوت خافت :

– هذه صدفة سعيدة ، ومقابلة غير منتظرة يا عزيزتي "كاترين" . لقد عرفتك بصعوبة ، ومن المؤكد أن "بيشو" لن يعرفك . إنك تجيدين التنكر كل الإجادة . وعندما رأيتك لأول مرة ، كان شعر رأسك أحمر ، وكانت عيناك سوداوين . أما الآن فشعر رأسك أسود ، وعيناك حمراوان .

وضحك . فلم تجب الفتاة ..

قال "بارنيت" :

– لقد أنستني المفاجأة أن أهنئك .

– لماذا ؟

– عندما كنا نتنازع عقد (كيلمان) في مطار "بورجيه" ، كان اسمك "كاترين" الحمراء . ولكن الظاهر أن الحظ ابتسم لك فجأة .. فأصبحت ابنة عم الكونت "تيرل" .

* * *

وكانت الفتاة ترقص برشاقة ولباقة ، فدار بها "بارنيت" في حومة الرقص وأخذ يبتعد بها شيئاً فشيئا ، ليخرج بها من الميدان .

سألته الفتاة :

– وماذا جئت تفعل هنا ؟

فأجاب وهو يبتسم :

– جئت لأشرب مجانا ، وأرقب زوجة البقال وهي تحاول الصعود إلى القمة . وأنت ماذا جئت تفعلين ؟

– جئت لذات الغرض الذي جئت أنت من أجله .

وصمتت لحظة ثم أردفت :

- هلم بنا إلى الحديقة ، لنتحدث .

ولاحظ "بارنيت" أن الفتاة تعرف غرف القصر وأروقته وجميع مسالكه.

قال :

- لاشك أنك جئت لزيارة هذا القصر قبل الآن .

فأجابت في صراحة :

- بالتأكيد .. إنني أحب دائما أن أعرف موضع قدمي .. ومما لاشك فيه أنك كذلك قد جئت لزيارة هذا القصر قبل الآن .

فأجاب "بارنيت" :

- بل الأمر على العكس ، هذه أولى زياراتي ، أنا لا أعض التفاحة مرتين أبدا .

حتى ولو كانت التفاحة تساوي نصف مليون فرنك ؟

- حتى ولو كانت تساوي ضعف هذا المبلغ .

فأخرجت من صدرها علبة ذهبية ، وقدمت إليه لفافة ، ولكنه ابتسم وهز رأسه وقال :

- إن لفافات التبغ التي تقدمينها لأصدقائك ليست من أجود الأنواع ياعزيزتي "كاترين" ، دعيني أقدم إليك لفافة من لفافاتي .

فهزت الفتاة كتفيها وقالت :

- أصغ إلي ، دعنا نطرح أوراقنا على الطاولة ، ونتكلم بصراحة . إنك دخلت الآن هذا القصر بقصد الاستيلاء على ماسة (كريزر) .. ولا أكتمك إننا جئنا لهذا الغرض أيضاً ، وقد ذكرت أن هذه أول مرة تزور فيها هذا القصر ، أما نحن فإننا ترددنا عليه مراراً ودبرنا خطتنا أحسن تدبير ، ومن المستحيل عليك أن تسبقنا إلى هذه الماسة كما سبقتنا إلى عقد (كيلمان) . فلماذا لاتنسحب بلباقة .. وتتقهقر بانتظام؟

فنظر إليها "بارنيت" بإمعان .. وظهرت على وجهه علامات التفكير.

وظنت الفتاة أن الفرصة سانحة لإقناعه ، فمست ساعده بلطف، وقالت بصوت كله إغراء :

- نعم .. لماذا لاتنسحب وتوفر على نفسك العناء والمخاطر !

فقال "بارنيت" :

- أنت تعلمين يا "كاترين" أنك فتاة فاتنة ، فهل يسوؤك أن أطبع قبلة على شفتيك ؟

فقالت الفتاة :

- إذا انسحبت من الميدان .. أعطيتك خمسة آلاف فرنك .

فقطب بارنيت حاجبيه وسأل :

- هل عدد زملائك خمسون .. لكي يكون نصيبي من الغنيمة هذا المبلغ التافه ؟

فقالت الفتاة :

- أستطيع أن أعدك بعشرة آلاف .. وأنا واثقة من أن شركائي لايسمحون لك بأكثر من هذا المبلغ .

فأرسل "بارنيت" من فمه سحابة من الدخان وأجاب :

- إذا عرضت علي ٤٠٠ ألف فرنك فإنني لاأقبل .. إنني رجل لا أشترى بالمال ولا أرضى بالانسحاب من ميدان العمل بأي ثمن أيتها الغريرة الصغيرة .

وصمت لحظة ثم سأل :

- والآن .. ماذا في نيتكم أن تفعلوا بي ؟ هل تحطمون جمجمتي كما أردتم أن تفعلوا في مطار (بورجيه) ؟

فلم تجب الفتاة بل أمسكت بساعده بقوة .. ونظرت في عينيه وقالت في صراحة وبصوت هادئ :

- إنني لا أفكر في الإضرار بك .. ولكن يجب أن تعلم أنني أريد هذه

الماسة .. وأريدها بإصرار وإلحاح .. وليس في وسعك أن تعلم كم أنا بحاجة إليها .. إنني طيلة حياتي لم أطلب قط معروفا من إنسان .. لأنني أعلم أن الرجال الذين يحترفون مهنتنا هذه لايصنعون معروفا لامرأة إلا إذا تقاضوا ثمن هذا المعروف ..

ولكني أعلم الشيء الكثير عنك .. وأعلم أنك تختلف عن سائر الرجال

فغمغم "بارنيت":

- هذه رواية تمثيلية جديدة يا "كاترين". امض في حديثك .. إنني في أشد الشوق إلى معرفة الخاتمة

فسألته في حرارة وإخلاص:

- هل تعتقد أنني أريد أن أخدعك ؟ هل تظن أنني أمثل دوراً ؟

- أنا لا أعتقد شيئا .. ولكني أريد أن أعرف غرضك من هذا الاستعطاف الحار .

فقالت الفتاة بصوت حزين :

- إن من حقك أن تظن بي الظنون .. من حقك أن ترتاب في.. ولو كنت مكانك مافعلت غير ذلك .. ولكن اصغ إلي .. سأتحدث إليك في صدق وصراحة .

هل تعرف قيمة هذه الماسة بالنسبة إلي ؟ إنني أريد الاستيلاء عليها لأطلق هذه الحياة القذرة التي أحياها بين اللصوص والأشقياء والمحتالين. ستكون هذه الماسة آخر صفقة أسعى إليها .. ومن ثم أعيش هادئة وادعة .. عيشة المرأة الفاضلة والزوجة الشريفة ...

ثم أشاحت بوجهها واستطردت بصوت خافت :

- إن في نيتي أن أتزوج .

فنظر إليها بارتياب وارتسمت على شفتيه ابتسامة تهكم وسخرية، وأمسك نفسه في الوقت المناسب عن أن يسألها عن رأي "أزواجها"

العديدين في مشروعها الجديد غير أنه في الواقع لم يكن يعرف الكثير من دقائق حياتها الخاصة .

أراد أن يتكلم ، ولكنه سمع في هذه اللحظة وقع أقدام قريبة ، فنظر كل منهما إلى الآخر ، ثم أرهفا السمع .

كان هناك رجلان يسيران بين أشجار الحديقة ، وقد سمع "بارنيت" أحدهما يقول :

- أعتقد أن هذه الخطة أفضل بكثير من سابقتها .

وهنا بدرت من "كاترين" حركة كأنها تهم بالابتعاد إلى حيث كان الرجلان ، فأحاطها "بارنيت" بساعده بأسرع من لمح البصر وأرغمها على البقاء ، ووضع يده على فمها ليمنعها من الكلام . لم يكن ثمة شك في أن الرجلين كانا من شركائها .

أرهف أذنيه ، وسمع الرجل الثاني يقول :

- نعم ، أعتقد أن هذه الخطة ستوفر علينا كثيراً من المتاعب والمخاطر .

ورأى "بارنيت" عود ثقاب بيضاء ، وأدرك أن أحد الرجلين يشعل لفافة تبغ

قال الرجل الأول :

- ولكن ماذا في نيتك أن تصنع بالفتاة ؟

فأجاب الثاني :

- لا أعلم . إنها فتاة نشيطة ، ورشيقة ، مخلصة .. ولاعيب فيها إلا أنها بدأت تنظر إلى الزواج نظرة جدية .. وتصر على وجوب الاقتران بي بأسرع ما يمكن ، والرحيل معي بعد ذلك إلى لندن .

- وماذا اعتزمت أن تفعل ؟

- إذا وفقنا الليلة .. فإنني أرحل معها إلى لندن غداً .. ولا يصعب علي أن أتخلص منها هناك .

- إذا فعلت ذلك فإنها تضغن عليك . وقد لاتتردد في الوشاية بنا .

- لا أعتقد انها تشي بنا .. وبعد .. فإن في نيتي أن أراوغها ، وأتملص منها شيئا فشيئا .. حتى إذا هجرتها لم تشعر بوطأة القطيعة .. والذنب ليس ذنبي ، بل ذنبها لأنها تصر على الزواج إصرار فتاة الدير التي تقع في أول أحبولة تنصب لها .

- ونصيبها من الصفقة ؟

- سوف أسكتها ببضعة آلاف من الفرنكات .. إنها فتاة طيبة القلب كما قلت لك

وساد بين الرجلين صمت قصير ، ثم قال ثانيهما :

- مهما يكن من أمر فهذه مسألة شخصية تتعلق بك وبها . إن الساعة الآن الحادية عشرة . يجب أن أسرع إلى مقابلة (ريمون) لأتفق معه على موعد إطفاء الأنوار الكهربائية .

***

ومضى الرجلان في سبيلهما ، ولزم "بارنيت" الصمت والسكون حتى تلاشى صوت وقع أقدامهما ، ومن ثم ترك الفتاة .

كانت الفتاة شاحبة اللون لاهثة الأنفاس ، وقد رأى "بارنيت" دمعة كبيرة تتدحرج على خدها .. فهم كل شيء ، وأشعل لفافة تبغ .

سألته :

- هل سمعت ؟

فأجاب :

- لم يكن هناك مناص من أن أسمع .. إنني آسف لك يا فتاة . هذان الرجلان من شركائك ، وأحدهما هو الذي كنت تزعمين الاقتران به .

فقالت بصوت متهدج :

- نعم .

ثم استطردت :

- مهما يكن من أمر فقد تأكدت أنت الآن من أنني لم أكن أرمي إلى خداعك قال :

- يجب أن تحمدي الظروف التي مكنتك من الوقوف على نيات الرجل الذي كنت تعقدين عليه كل آمالك في الحياة .

فأجابت بصوت أجش :

- نعم .

- وهل يهمك الآن أن يسبقني شركاؤك إلى الماسة ؟

فأجابت وهي تصرف بأسنانها غيظا وحنقا :

- كلا .. يجب أن نفسد تدبيرهم .

- هلمي بنا إذن

***

ووصلا إلى صالة الرقص في الوقت المناسب للاشتراك في أحد أشواط الرقص قال "بارنيت" وهو يدور بالفتاة بين الراقصين:

- يجب ألا نبتعد كثيرا عن مدام "تيلار" ، إن الأنوار الكهربائية ستطفأ في أية لحظة .. أين الرجلان اللذان سمعناهما يتحدثان في الحديقة ؟ أليسا هما ذلك الشاب الأسمر الأنيق الذي يتحدث إلى مدام "تيلار" ،والرجل الأشيب الواقف بالقرب منهما ؟

لم يكد "بارنيت" ينطق بالكلمة الأخيرة حتى انطفأت جميع الأنوار الكهربائية فجأة .. فساد صمت مطلق استمر لحظة قصيرة ثم ارتفعت ضوضاء الكلام والضحك وفجأة .. دوى صوت مدام "تيلار" وهي تصرخ ..

- النجدة .. النجدة .

فساد الصمت مرة أخرى ، وعادت مدام "تيلار" إلى الصراخ :

- عقدي .. عقدي .. أضيئوا الأنوار .

وسمع المدعوون في هذه اللحظة أنة مزعجة ، أعقبها صوت سقوط

جسم واشعل عود ثقاب ، ثم عود آخر ، فثالث ، فرابع ..

ثم أضيئت الأنوار الكهربائية فجأة كما أطفئت ، واتجهت جميع الأنظار في الحال إلى حيث كانت مدام "تيلار" ، ورأى القوم أمامهم منظرا عجيبا ..

رأوا شابا أنيقا ملقى على الأرض وبالقرب منه رجل آخر شيب.

رأوا "بارنيت" واقفا ويده فوق فكه كمن تلقى لكمة شديدة .

وكان عقد مدام "تيلار" ملقى على الأرض بين هؤلاء الرجال الثلاثة .. فانحنت صاحبة الدار والتقطت العقد بسرعة ، ولكنها مالبثت أن صرخت :

- ماستي .. ماستي .. لقد سرقوا ماستي ..

***

وهنا شوهد "بيشو" وهو يشق طريقه بين المدعوين ، إلى أن وصل إلى حيث كان "بارنيت" .. فالقى بيده على كتفه وصاح :

- ما هذا ؟ . ماذا حدث ؟

فاشار "بارنيت" إلى الشاب الملقى على الأرض .. وأجاب :

- هو ذا الرجل الذي يجب أن تلقي القبض عليه .. فإن الأنوار ما كادت تطفأ حتى ..

فقاطعه الرجل الأشيب .. بأن صاح :

- أنت كاذب ..

ثم تحول إلى "بيشو" وقال :

- لقد كنت واقفا بالقرب من مدام "تيلار" عندما أطفئت الأنوار فهجم عليها هذا الرجل (واشار إلى "بارنيت") وانتزع عقدها وحاول صديقي هذا (واشار إلى الشاب الملقى على الأرض) أن يمنعه ..

فصاحت مدام "تيلار" وهي تهز "بيشو" بعنف :

- أين كنت يا مسيو "بيشو" .. لماذا لم تقم بمهمة المراقبة .. آه .. يا إلهي .. لن أرى ماستي بعد الآن ..

فأجاب "بيشو" :

- إن أسفي شديد يا سيدتي .. لقد غادرت القاعة لأتناول قدحا من الماء ولكن كوني مطمئنة ، فالسارق بين أيدينا ..

قال ذلك ووضع يده على كتف "بارنيت" وقال له :

- اسمح لي بأن افتشك ..

فنظر إليه "بارنيت" شزراً وقال :

- إذا تركت هذين الرجلين يا مسيو "بيشو" ، فإنك تتورط في خطأ سوف تندم عليه .. لقد كنت في الحديقة منذ بضع دقائق وسمعت هذين الرجلين يتحدثان عن إطفاء النور ..

فقهقه الرجل الأشيب وقال :

- هذه قحة لم أسمع بمثلها في حياتي .. فتشه يا مسيو "بيشو" .. أنا واثق أن الماسة معه .. وأنه يريد فقط أن يصرف الأذهان ويحول الأنظار عنه ..

وهنا تقدمت "كاترين" من بين المدعوين ، وقالت بصوت هادئ ثابت :

- كلا .. إن مسيو "بارنيت" لم يذكر غير الحقيقة .. لقد كنت معه في الحديقة وسمعنا هذين الرجلين يتحدثان عن إطفاء النور ..

فقال الرجل الأشيب بصوت يرتجف قليلا :

- هذه الفتاة تهذي ، فأنا لم أذهب قط إلى الحديقة ..

وكان الشاب الأسمر قد أفاق من غشيته ، وسمع طرفا من الحديث فنهض واقفا وقال :

- هذا صحيح ، إن أحداً منا لم يذهب إلى الحديقة هذا المساء.

ووقف "بيشو" حائراً لا يدري ماذا يجب أن يفعل ..

قال أخيراً موجها كلامه إلى مدام "تيلار" :

- هانت ترين يا سيدتي أن هؤلاء السادة يتهمون بعضهم البعض

فهل ترتابين في احدهم بصفة خاصة ؟

فرفعت مدام "تيلار" رأسها بكبرياء واجابت :

- إنني لا استطيع أن اتهم ضيوفي بانهم لصوص ياسيدي ، كان يجب عليك أن تقوم بواجبك .. أنت تعرف من ذا الذي هددنا بسرقة الماسة ؟ ..

ففكر "بيشو" مليا ، ثم قال :

- إن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو ان يسمح لي هؤلاء السادة بتفتيشهم فابتسم "بارنيت" واجاب :

- هذا راي صواب .

وتبادل الرجلان نظرة حائرة . ولكنهما لزما الصمت .

قال "بيشو" :

- أرجو مرافقتي إلى غرفة أخرى .

فدار "بارنيت" على عقبيه ، وتاهب للسير في اثر "بيشو" .. وعندئذ التقت عيناه بعيني "كاترين" فاقترب منها وقال :

- إنك فتاة باسلة .

وقد لاحظت "كاترين" أن صوته متغير .

ولم يحفل "بارنيت" بالأنظار المتجهة إليه ووضع يده على كتف الفتاة وقبل شفتيها قبلة فاضحة ، خدشت شعور الطبقة الأرستقراطية التي تسعى مدام "تيلار" للانتساب إليها .

* * *

كان "بارنيت" جالسا في مكتبه في اليوم التالي حين دخل عليه "بيشو" .

وكان مفتش البوليس مقطب الجبين تبدو على وجهه علامات التعب و التفكير .

فاستقبله "بارنيت" بابتسامته الساخرة المالوفة .. وقال له مؤنبا:

- دعني اعتب عليك يا صديقي "بيشو" انك تسرعت في اتهامي بلا مبرر.. وثق انه لولا الصداقة التي تجمع بيننا لما ترددت في مطالبتك بتعويض عما لحقني من إهانة بسبب تصرفاتك التي تتنافى مع المنطق .

فساله "بيشو" في هدوء :

- أين الماسة ؟

فانفجر "بارنيت" ضاحكا و أجاب :

- إنك القيت علي هذا السؤال أمس .. الم ينذرك "لوبين" بعزمه على سرقتها ؟!

فتهالك "بيشو" على أحد المقاعد وقال :

- اصغ إلي يا "بارنيت" .. إن كل شيء قد انتهى الآن .. فاين الماسة ؟ إنها اختفت من امامنا .. وانا واثق انك تعرف كيف اختفت .

- الم تفتش ثيابي ؟

- عندما كنا في القاعة الكبرى كان صوتك عجيبا متغيرا . وانا واثق أن الماسة كانت في فمك وقتئذ .

- ولكنك طلبت إلي أن افتح فمي .. فنزلت على إرادتك .. ولم تجد في فمي شيئا .

فهز "بيشو" راسه في حيرة . واجاب :

- هذا صحيح .. ولكنها كانت في فمك قبل ذلك . اه .. يا إلهي كيف فاتني أن ..

وضرب جبهته بيده .. فهتف "بارنيت" :

- ماذا فاتك ؟!

فنظر إليه "بيشو" بغيظ وحنق .. وأجاب :

- فاتني أن افتش فم الفتاة بعد أن قبلتها .

فضحك "بارنيت" حتى استلقى على قفاه .

-٤-

الأخوان

في التاريخ ، بل في حوادث كل يوم ، أمثلة عدة من الكراهية التي قد تقوم بين الأخوين الشقيقين مقام المحبة والوفاق . بيد أن القصة التي سمعها "بارنيت" عن الشقيقين "فرنون" و "جول كينسال" كانت فريدة من نوعها وطرافتها .

قال له مسيو "بتويك" مسجل العقود :

- إنك لن تجد أخوين يبغض كل منهما الآخر كما يبغض "جول" أخاه "فرنون" وبالعكس .. وهذا البغض بين الأخوين لم يكن نتيجة حادث معين بل هو بغض غريزي تغلغل في صدريهما منذ الصغر .

كان "جول" في الرابعة من عمره عندما لاحظ أن شقيقه "فرنون" - وكان وقتئذ في الشهر الثاني من عمره - يستأثر بمحبة والديه ، فضربه ذات يوم بلعبة في يده ضربة شقت شفته .

ولما كان "فرنون" في السابعة من عمره لاحظ أنه إذا ظل مستيقظاً حتى ينام شقيقه "جول" - وهو وقتئذ في الحادية عشرة من عمره - فإنه يستطيع أن يسطو على جيبه وهو آمن مطمئن ، ويجرده مما يحتفظ به من حلوى ونقود ولعب .

ولما بلغ "جول" العشرين من عمره وجد أنه يستطيع أن يقلد خط "فرنون" - وكان وقتئذ في السادسة عشرة من عمره - تقليداً تاماً مكنه في أحد الأيام من أن يسحب من المبالغ التي أودعها "فرنون" في صندوق التوفير مبلغاً جسيماً حار "فرنون" في إدراك سر اختفائه ..

وعندما بلغ "فرنون" السابعة والعشرين من عمره .. ودعا أخاه "جول" لقضاء عطلته الأسبوعية في منزله .. فلبى "جول" الدعوة..

وتسلل تحت جنح الظلام إلى مكتب شقيقه . وعبث بأوراقه .. واكتشف سر صفقة رابحة كان "فرنون" يتاهب لإبرامها فسبقه إليها ..

ولما بلغ "جول" الخامسة والثلاثين من عمره دعا اخاه "فرنون" لتناول طعام الغداء عنده . فلبى الدعوة . ولكنه انتهز الفرصة واغرى سكرتير شقيقه بالمال حتى علم منه حكاية منجم للفحم في جنوب إفريقيا كان "جول" يتفاوض للحصول على امتياز استغلاله. فاسرع "فرنون" وحصل على هذا الامتياز .

قال مسيو "بنويك" مسجل العقود :

- وهكذا ظلت العداوة سجالا بين الأخوين الشقيقين حتى حار ابوهما في امرهما .

وابوهما هو مسيو "هنري كينسال" الذي جمع ثروة طائلة من المضاربات في البورصة .. وقد اتصل بي اخيراً واخبرني انه يعيش في إسبانيا .

وقد كنت مسجلا للعقود لهذا الرجل قبل أن يشطب اسمي من جدول المسجلين .

ولاتزال عندي وصيته الأخيرة ... ولست أحدثك عن المتاعب التي عانيتها مع هذا الرجل ..

ذلك انه كتب وصيته اولا .. واوصى بان توزع ثروته على ولديه بالتساوي .

ثم عاد فمزق هذه الوصية .. وكتب وصية اخرى ترك بمقتضاها كل امواله لولده "فرنون" .

ومزق هذه الوصية ايضا وترك كل ثروته لولده "جول" .

ثم مزق هذه الوصية الثالثة وكتب غيرها ..

والواقع أن الرجل ظل حائراً لايدري أي الشقيقين أسوأ من الآخر .

واذكر فيما اذكر ان ...

* * *

ومضى مسيو "بنويك" في سرد ذكرياته ..

ومسيو "بنويك" إذا بدا الكلام وهو ثمل .. ملك ناصية الموقف. وجعل من المستحيل على السامع إلا ان ينسى ان له لسانا .. وان له صوتا فما عليه إلا ان يسمع وكفى .

* * *

كان الإسراف في تناول الشراب نقطة سوداء في حياة مسيو "بنويك" .

وكانت المشروبات هي علة المصائب والويلات التي حلت به . فبسببها فقد عملاءه جميعا وبسببها شطب اسمه من جدول مسجلي العقود .

ومتى شطب اسم المسجل من جدول مسجلي العقود .. وكان سكيرا عربيداً .. اصبح مخلوقا خطراً .. لانه لايقوى عندئذ على كتمان الأسرار التي ائتمنه عليها عملاؤه .

وهي حقيقة ادركها "بارنيت" .. الذي تعلم بالتجربة أن التغلغل في اسرار الناس والتوسع في معرفة الحقائق والمعلومات يفيد ولايضر .

* * *

اصغى "بارنيت" إلى حديث مسيو "بنويك" وقدم إليه كاسا وثانية وثالثة .. وسابعة ثم افترق الاثنان ، ونسي "بارنيت" او تناسى ما سمع عن الأخوين "فرنون" و "جول كينسال" .

وفي احد الأيام قرا "بارنيت" في الصحف ان مسيو "هنري كينسال" المليونير المعروف توفي في مدريد بالسكتة القلبية .

وبعد يومين ، قرا في نبا اخر ان ثروة مسيو "كينسال" تقدر

بسبعة ملايين من الفرنكات . وأن هذه الثروة ستوزع بالتساوي بين ولديه وفقا لوصية كتبها المتوفي سنة ١٩٢٧ واودعها عند مسجل للعقود يدعى "جاك موران" .

وجد "بارنيت" أن لا سبيل للاستفادة من معلوماته عن الشقيقين "جول" ، "فرنون" فطوى الجريدة ، ورفع كأس الشراب إلى فمه .

وعندئذ رأى مسيو "بنويك" مقبلا عليه وهو يترنح فتوجه إليه قائلا :

- هالو ، "بنويك" في أية جنازة كنت ؟

فأجاب "بنويك" بلسان متلعثم :

- ابشر يا ولدي العزيز . إنهم سيعيدون اسمي إلى قائمة المسجلين. فهنئني ..

فابتسم "بارنيت" وقال :

- هذا بديع ، من اين علمت هذا النبأ السار ؟

فأجاب "بنويك" :

- يجب أن يعيدوا اسمي إلى قائمة المسجلين العاملين ، لأنني المسجل الوحيد الذي عنده آخر وصية كتبها "هنري كينسال" هل قرأت صحف المساء ؟ لقد ذكرت هذه الصحف أن ملايين "كيمس ل" ستوزع مناصفة بين ولديه وفقا لوصية اودعها عند احد مسجلي العقود في سنة ١٩٢٧ . وهذا كلام فارغ . فهذه الوصية قد الغتها وصية أخرى اودعها عندي "كينسال" في سنة ١٩٣٢ . لابد إذن أن يعيدوا اسمي إلى قائمة المسجلين .

إنهم لايستطيعون إغفال مسجل مثلي يودع أصحاب الملايين وصاياهم عنده

فقطب "بارنيت" حاجبيه . وأجال الطرف حوله في جوانب الحانة . ولكن من حسن الحظ أن الحانة كانت خالية من الناس

قال بصوت خافت

- ماذا كنت تقول ؟!

فأجاب "بنويك" بصوت لايكاد يفهم :

- كنت أقول إن الوصية التي عندي هي آخر وصايا "هنري كينسال" وهي تلغي وصاياه السابقة . وما كدت اقرأ النبأ الذي نشرته الصحف حتى بحثت عن الوصية ووجدتها . وكان في نيتي أن اذهب بها إلى أولي الشأن . ولكني آثرت أن أروي ظمئي أولا. هل لك في كأس على حسابي ؟!

وقلب جيوبه باحثا عن نقود ، ولكنه لم يجد غير بضعة سنتيمات. هتف بصوت حزين ..

- لقد ذهبت نقودي ، لقد ذهبت نقودي كلها ، اقرضني مائة فرنك يا رجل لكي أدفع الحساب .

فقدم إليه "بارنيت" كأسا ، وانتظر حتى ازدردها ثم قال له ببطء:

- هل معك هذه الوصية الآن يا مسيو "بنويك" ؟

- بالتأكيد ، لقد قلت لك إنه كان في نيتي ان اذهب بها إلى أولي الشأن .

- اصغ إلي يا مسيو "بنويك" هل تبيعني هذه الوصية ؟!

ففتح "بنويك" عينيه بصعوبة وغمغم :

- أبيعك الوصية ؟؟ هذا مستحيل . هذا مخالف لشرف المهنة. إن الوصايا لاتباع . اقرضني مائة فرنك .

- ماذا تفعل لو حصلت على مائة فرنك يا مسيو "بنويك" ؟

فازدرد "بنويك"لعابه . وقال وعيناه تلمعان :

- ماذا افعل ؟ ابتاع بها الشراب .. ابتاع بها مئات من براميل الشراب. واغتسل كل يوم بالشراب .

- ساعطيك مائة الف فرنك ثمنا لهذه الوصية يا مسيو "بنويك"..

وأعطيك هذا المبلغ نقداً .. وفوراً .. وأعدك بألا افعل بالوصية ما يتعارض مع شرف المهنة . فلا امزقها .. ولا أحدث فيها تغييراً او تبديلا .. إنني لااريد الاستيلاء عليها .. بل أريد فقط ان تعيرني إياها يوما او يومين .

* * *

في صباح اليوم التالي .. قصدت "كاترين" (الحمراء) إلى مكتب "فرنون كينسال" وطلبت مقابلته .

وأوشك "فرنون" أن يرفض مقابلة فتاة لايعرفها .. ولكنه تريث قليلا وسأل سكرتيره :

- ماشكل هذه الفتاة ؟ الم ترها قبل الآن ؟

- نعم لم أرها .. بيد أنها على جانب عظيم من الجمال والرشاقة

- إذن دعها تدخل

ودخلت "كاترين" وهي تتهادى في مشيتها .. وحيت "فرنون" بابتسامة ساحرة .. قال الرجل وهو يصافحها باحترام :

- اهلا بك وسهلا يا آنسة .. اظن اننا لم ....

فقاطعته ببرود :

- نعم .. إننا لم نتقابل قبل الآن .. إنني سكرتيرة أخيك "جول كينسال" . أو على الأصح .. إنني كنت سكرتيرته .

فقطب "فرنون" حاجبيه وسأل :

- هل هو الذي بعث بك إلي ؟

فضحكت "كاترين" ساخرة وقالت :

- هل هو الذي بعث بي إليك ؟ إنه قد يفكر في قتلي إذا علم انني جئت لمقابلتك . فسأل "فرنون" في حذر :

- لماذا ؟

فجلست على مكتبه جلسة خليعة .. وتناولت لفافة تبغ من علبة

كانت على المكتب . وأجابت وهي تحرك قدمها الصغيرة :

- اصغ إلي .. إنني جئت من تلقاء نفسي .. للحصول على أعظم فائدة استطيع الفوز بها . إن أخاك طردني من خدمته لهفوة بسيطة .. ليسرني إذن أن أرى شخصا يقهره ويكبته ويلحق به الأذى .

وانا اعلم مما سمعته منه مراراً أن العلاقة بينكما ليست على مايرام . وأن الكراهة بينكما متبادلة .. وفي اعتقادي أنني أستطيع أن اضع بين يديك سلاحا تطعن به أخاك طعنة نجلاء .. ولكن بشرط أن تدفع لي الثمن

فقطب "فرنون" حاجبيه . وأخذ ينقر باصابعه على المكتب .

إنه اهتم بالفتاة أولا .. لأنها من نوع الفتيات الخليعات اللاتي يميل إلى عشرتهن ولكن اهتمامه بها تضاعف عندما علم انها تملك سلاحا يستطيع أن يطعن به أخاه طعنة"نجلاء .

قال :

- يسوءني انك اضعت وظيفتك أيتها الفتاة العزيزة . ولكن ما هي الغلطة الصغيرة التي وقعت فيها وأدت إلى ضياع وظيفتك؟

فاجابت "كاترين" :

هذه الغلطة لاتتعدى انني فتحت إحدى رسائل مسيو "جول" .

إنني افض جميع رسائله بصفتي سكرتيرته . بيد أن هذه الرسالة بالذات كان مكتوبا عليها أنها «خاصة وسرية» . ولم افض هذه الرسالة عمدا .. ولكن تصادف انني ذهبت إلى عملي متأخرة فأخذت في فض الرسائل بسرعة . وكان من بينها هذه الرسالة . ولم الاحظ كلمتي خاصة وسرية»

ودخل مسيو "جول" فوجدني اقرا تلك الرسالة . فغضب وسب وشتم . وطردني في الحال حدث ذلك أمس فقط وكنت ...

فقاطعها "فرنون" :

- وماذا قرات في تلك الرسالة ؟

فاجابت :

- كانت الرسالة تدور حول وصية ابيك .

وهنا اعتدل "فرنون" في مقعده واستطردت الفتاة :

- وقد وردت إليه هذه الرسالة من رجل سبق أن جاء لمقابلته في المكتب مرة أو مرتين

وقد اصغيت خلسة إلى الحديث الذي دار بينهما . وفهمت من هذا الحديث ان الوصية التي تكلمت عنها الصحف اخيراً ليست آخر وصية كتبها ابوك ، وأن الوصية الأخيرة التي تلغي الوصايا السابقة كانت في حيازة ذلك الرجل ، وهو مسجل عقود

وفهمت من الحديث كذلك ان اخاك "جول" يحاول ابتياع هذه الوصية من المسجل باي ثمن

وكانت الرسالة التي فضضتها عفواً وطردت بسببها واردة من هذا المسجل . وفيها يقول لاخيك إنه على استعداد لقبول نصف مليون فرنك ثمنا للوصية التي في حيازته

* * *

سمع "فرنون" هذا الكلام وبقي جامدا في مكانه لحظة .

لاشك إذن ان اخر وصية كتبها أبوه كانت في مصلحته هو دون اخيه، ولولا ذلك مافكر "جول" في ان يدفع هذا المبلغ الباهظ لها ، لكي يخفيها او يبيدها

* * *

لزم الرجل الصمت لحظة . ثم انفجر صارخا

- ويل للخنزير القذر .

- وفكر مرة أخرى .

إن "جول" لايمكن ان يدفع مثل هذا المبلغ الباهظ ثمنا للوصية إلا إذا

كانت نصوص الوصية تحرمه من مبلغ أعظم من هذا بكثير.

سال بصوت أجش :

- وما اسم مسجل العقود ؟

فابتسمت "كاترين" واجابت :

- كنت أعلم انك ستلقي علي هذا السوال . إنني اعرف اسم هذا المسجل ، وعنوانه . ولكن هذه المعلومات لها ثمن .

فنظر "فرنون" إلى ساعته . ثم سال :

- كم تريدين ثمنا لهذه المعلومات ؟ إذا طلبت مبلغا معقولا فإنني ادفعه .

فارسلت "كاترين" من فمها سحابة من الدخان . ونظرت إلى "فرنون" طويلا .. ثم قالت :

- اريد عشرة آلاف فرنك ؟

فنظر إليها منزعجا . وفكر قليلا . ثم وضع يده في جيبه واخرج عشرة أوراق مالية ، ناولها للفتاة . ففحصتها ووضعتها في حقيبتها.

ثم تناولت ورقة وقلما ، وكتبت اسم مسجل العقود وعنوانه .

وقرأ "فرنون" الاسم والعنوان . ودس الورقة في جيبه ، واختطف قبعته . وهتف وهو يهرول نحو الباب :

- عفواً . أرجو المعذرة ، يجب أن أتخذ بعض الإجراءات ، قابليني في فرصة أخرى ، إذا شئت .. إلى اللقاء .

ووثب في سيارته . وامر السائق بالانطلاق إلى العنوان الذي كتبته الفتاة .

وقد كان يخيل إليه أن السيارة رغم إسراعها تسير ببطء السلحفاة. فراح ينتقل من أحد جوانب المقعد إلى الجانب الآخر. ويضرب يده اليسرى بقبضة يده اليمنى .

واعصابه تكاد تتمزق لفرط الانفعال .

ووصل أخيراً إلى مكتب مسجل العقود . وقرع الجرس بشدة .

وانقضت دقيقة ولم يفتح الباب . فقرع الجرس مرة أخرى . وأخيرا فتح الباب رجل طويل القامة ، يضع على عينيه نظارة سوداء .

سأله "فرنون" :

- اين مسيو "بنويك" ؟

فاجاب الرجل :

- تفضل بالدخول يا سيدي

وذهب به إلى غرفة صغيرة في احد أركانها مكتب بسيط ، فأجال "فرنون" البصر في جوانب الغرفة ثم سأل مرة أخرى :

- اين مسيو "بنويك" ؟

فاجاب الرجل :

- هانذا !

فانفجر "فرنون" صائحا :

- اين الوصية ايها اللص ؟

فرفع "بنويك" حاجبيه في دهشة وقال في ادب : اظن انه لم يسبق لي شرف التعرف إلى ..

فصاح "فرنون": انا أدعى "فرنون كينسال" ، وقد جئت الآن في طلب الوصية التي تريد بيعها إلى أخي القذر ، وإذا لم تعطني الوصية في الحال فسابلغ الأمر إلى البوليس .

فجلس مسيو "بنويك" المزعوم أمام مكتبه بهدوء ، وأجاب في لطف :

- هل عندك دليل على وجود هذه الوصية يا مسيو .. يا مسيو "فرنون" ؟

فانكمش "فرنون" .. كما لو كان قد صب عليه إناء ملئ بالماء المثلج .. خمدت حماسته ، وادرك ان لا فائدة من التهويش ، لانه لايملك دليلا على وجود تلك الوصية ثم قال :

فكم تطلب ثمناً لها ؟

فقلب "بارنيت" أو "بنويك" شفته واجاب :

- اظن ان الوصية لم تعد معروضة للبيع ..

لقد بعث مسيو "جول كينسال" إلى البنك تحويلا ماليا باسمي.. وانا لا انتظر إلا إخطار البنك بضم قيمة التحويل إلى حسابي الخاص، ثم اضع الوصية بين يدي مسيو "جول" .

فصاح "فرنون" :

- هذا كلام فارغ .. ولكن مادام "جول" لم يضع يده على الوصية بعد فإنني على استعداد لان اعطيك مثل المبلغ الذي أعطاك إياه.. ولا حاجة بك لان ترد إليه نقوده ، لانه لايجسر على الالتجاء إلى البوليس والمحاكم والاعتراف بالأسباب التي حملته على إعطائك هذه النقود .

فهز "بارنيت" راسه وأجاب :

- لااعتقد ان في استطاعتي إفساد الصفقة مع مسيو "جول كينسال" نظير مبلغ اقل من نصف مليون فرنك .

فصاح "فرنون" : أنت لص محتال .

فاجاب "بارنيت" في هدوء :

- وأنت كذلك .

- إذن فسادفع إليك هذا المبلغ .

- بهذه المناسبة يجب أن اقول لك إنني أفضل ان يكون الدفع نقدا، فاذهب إلى البنك واسحب هذا المبلغ من ودائعك وعد باسرع ما يمكن لأن مسيو "جول" وعد بمقابلتي هنا بعد ساعة .. فإذا شئت أن تسبقه إلى إبرام هذه الصفقة فإن ...

ولم ينتظر "فرنون" حتى يتم "بنويك" المزعوم حديثه .. بل اختطف قبعته ووثب إلى الخارج باسرع مما دخل .

وابتسم "بارنيت" وتناول السماعة :

- ألو .. ألو .. "كاترين" . دعيني اهنئك ايتها العزيزة .. يظهر انك اتقنت دورك كل الإتقان .. كم أخذت من هذا المغفل "فرنون"؟

- عشرة آلاف فرنك . وهانذا اتاهب للخروج لابتاع بها بعض الثياب والحلي .

ولم تكد تنقضي بضع دقائق .. حتى سمع "بارنيت" جرس الباب يدق ففتحه ، وإذا القادم مسيو "جول كينسال" .

كان "جول كينسال" أطول من أخيه قليلا ، واثقل منه وزنا ، وتدل مشيته وملامحه على انه أكثر من أخيه رزانة .

سأل :

- ماذا عندك من الأنباء يا مسيو "بنويك" . هل اخطرك البنك بان المبلغ اضيف إلى حسابك ؟

فأجاب "بارنيت" :

- كلا ، لم أخطر بذلك بعد ، ولكن صبراً ، سأتحقق من ذلك تليفونيا..

وتناول "بارنيت" السماعة ، واتصل بإدارة البنك بينما جلس "جول كينسال" جلسة المطمئن ، وهو يحمد الله على أن مسجل العقود اتصل به وانباه بأمر الوصية قبل أن يتصل باخيه ، وبذلك مكنه من سبق أخيه إلى الاستيلاء على هذه الوثيقة الثمينة ، حتى إذا كانت في مصلحته اذاعها ، وإذا كانت ضد مصلحته أعدمها..

ومرت بجسده رعدة حين فكر في انه كان من المحتمل جداً أن يتصل مسجل العقود باخيه قبل أن يتصل به .

قال "بارنيت" وهو يضع السماعة :

- لقد أضيف مبلغ التحويل إلى حسابي الخاص ..

فتنفس "جول كينسال" الصعداء بارتياح وقال :

- إذن لم يبق إلا أن تعطيني الوصية .

فقطب "بارنيت" حاجبيه وقال :

- إن الموقف قد طرأ عليه بعض التغيير يا مسيو "جول" ففر لون "جول كينسال" وهتف :

- ماذا تعني ؟ كيف طرأ على الموقف بعض التغيير ؟ لقد اعطيتك المبلغ الذي طلبته . فهل تحاول ..

فقاطعه "بارنيت" : لقد جاء اخوك لمقابلتي ..

وهنا اسودت الدنيا في عيني "جول" وصرخ : ايها المحتال القذر. هل ...

- صبراً لحظة .. هاهو أخوك قادم .

والواقع أن جرس الباب دق في تلك اللحظة فنهض "بارنيت" وفتح الباب ..

قال له "فرنون" وهو يلهث من تاثير التعب :

- هو ذا المبلغ الذي طلبته يا مسيو "بنويك" واخرج من جيبه غلافا مكتظا باوراق النقد . ووضعه بين يدي "بنويك" المزعوم وهو يقول :

- اعتقد انني لم ابطئ . اليس كذلك ؟ والآن .. اعطني ..

وكانا قد وصلا في هذه اللحظة إلى غرفة المكتب . وابصر "فرنون" اخاه "جول" فاحتبس الكلام في حلقه .

وساد الصمت لحظة تراشق فيها الأخوان المخلصان بابلغ نظرات الحقد والكراهية هتف "جول" باخيه :

- أيها الكلب النحيل .

وصاح "فرنون" :

- أيها الخنزير السمين ..

وشعر الأخوان فجاة بان بينهما شخصا ثالثا ، وان الفرصة ليست سانحة لتبادل عبارات المجاملة والمحبة . فحولا انظارهما إلى "بارنيت" ، كانهما ينتظران قراره .

قال "فرنون" محدثا "بارنيت"

- مهما يكن المبلغ الذي عرضه عليك هذا المخلوق القذر فإنني على استعداد لأن أنقدك ضعفه .

فصاح "جول" :

- وأنا على استعداد لأن أدفع ثلاثة أضعاف المبلغ ، بل أربعة أضعاف بل خمسة أضعاف ، سأعطيك عشرين في المائة من مجموع نصيبي من الميراث .

فصرخ "فرنون" :

وأنا أعطيك ٢٥ في المائة .. بل ٢٧ في المائة

فرفع "بارنيت" يده لوقف هذا المزاد وقال :

- صبرا لحظة ، الا يحسن بكما قبل كل شيء أن تعلما مضمون الوصية ؟

فصاح "فرنون"

- أنا أعلم مضمونها

وهتف "جول" : وأنا كذلك .. سأعطيك ثلاثين في المائة من الميراث .

فابتسم "بارنيت" .. وأخرج من جيبه غلافا ضخما مختوما بالشمع الأحمر فرفع الأختام ، وفض الغلاف وهو يقول :

- يجب أن تعلما مضمون الوصية حتى لا يكون هناك سبيل للانخداع والأمل الكاذب

قال ذلك وبسط الوصية أمامهما .. فأسرعا لقراءة مضمونها

قرأا فيها مايلي : "أنا الموقع على هذا "هنري كينسال" ، أوصي بمقتضى هذه الوثيقة بان تنفق جميع أموالي على المستشفيات والجمعيات الخيرية تحت إشراف محافظ باريس ..

فذلك أفضل من أن ينفقها ولداي اللذان لايساويان قلامة ظفر"

وكانت الوصية مكتوبة بخط مسيو "هنري كينسال" موقعا عليها بإمضائه ..

وعليها توقيعات الشهود .

* * *

وطوى "بارنيت" الوصية ، ووضعها في جيبه .

ونظر "فرنون" إلى "جول" .. ونظر "جول" إلى "فرنون" .

ولأول مرة في حياتهما ، اتفقت ميول الأخوين وآراؤها ، فتحولا إلى "بارنيت" ،

وصعداه من أخمص القدم إلى قمة الرأس .

ولكنهما لاحظا في الوقت المناسب أنه رجل قوي العضلات .. مفتول الساعدين

- ٥ -

صور فنية

كان مسيو "جان هيلر" من أولئك الذين يعرفون طبائع النفس البشرية ويعلمون كيف يستثمرون هذه المعرفة ويحيلونها إلى ذهب.

وفي باريس كثيرون ممن يحترفون ذات المهنة التي يحترفها مسيو "جان هيلر". ولكن الفارق بين "هيلر" وغيره أنه رجل يعرف كيف ينصب شباكه ، ويصطاد في الماء العكر . لذلك استطاع أن يجمع ثروة طائلة ، من مهنة يقنع الآخرون بربحها الضئيل .

ومهنة "جان هيلر" هي بيع الصور الباريسية الفنية .

وهذه الصور الباريسية الفنية لم تصنع بالتأكيد ليبتاعها أهل باريس ، لأن في مقدوراهل باريس أن يلمسوا بأيديهم الأجسام العارية البديعة التي يعرض مسيو "جان هيلر" صورها للبيع .

وإذن فالغالب أن هذه الصور الباريسية الفنية إنما صنعت ليبتاعها غير الباريسيين ، أو على الأصح ليبتاعها السائحون الأجانب. الذين تستهويهم شهرة باريس .. كبلد الملاهي .. والملذات المستباحة.

وأدرك مسيو "جان هيلر" أن رواج تجارته يتوقف على الدعاية لها.. ولفت أنظار السائحين إليها بواسطة الإعلانات الرنانة المغرية.. فلم تكن تصدر جريدة أو مجلة في فرنسا إلا وبها إعلان عن الصور الباريسية الفنية التي يبيعها ... وفعل أكثر من ذلك فراح يعلن في

الصحف الإنجليزية والأمريكية .

ولكن من سوء حظه أنه غالى في إعلاناته مغالاة لفتت نظر "بارنيت" ولم يكن "چان هيلر" بالرجل الذي يقنع ببضع فرنكات أو شلنات أو دولارات ثمنا لطائفة من الصور يبعث بها إلى أحد الزبائن .. وإنما كانت له طريقة أخرى للربح الوفير .. ليس أساسها الصور في ذاتها .. وإنما أساسها الرسائل التي يبعث الزبائن بها إليه في طلب الصور، وفراسته في قراءة ما بين سطور هذه الرسائل ، ومعرفة المركز المالي والاجتماعي الذي يتمتع به صاحب الرسالة .

وفي أحد الأيام .. تسلم مسيو "چان هيلر" رسالة باللغة الإنجليزية من شخص يدعى "جيمس بارنيت" . ورأى في أعلى الورقة التي كتب عليها "جيمس بارنيت" اسم فندق (رويال بالاس) في مرسيليا ، ففرك يديه سروراً وارتياحا .

كان يعلم أن فندق (رويال بالاس) هو أفخر فندق في مرسيليا ، ولاينزل به إلا أصحاب الملايين وكواكب السينما .. فشرع يفحص خط "بارنيت" وأسلوبه وعباراته بماطبع عليه من فراسة . واستنتج من ذلك كله أن "بارنيت" شاب إنجليزي أو أسترالي غني ، يطلب الحصول على أكبر كمية ممكنة من الصور الفنية (الفاضحة) ، والكتب المبتذلة التي يندى لها جبين الفضيلة .

بعث إليه في الحال بالصور والكتب التي طلبها وأرفق الصور والكتب برسالة رقيقة عبر فيها عن استعداده لإجابة كل طلب ، وعن رجائه في أن يتكرم مستر "جيمس بارنيت" المحترم بزيارة محله في باريس .. إذا سمحت له ظروفه بالمرور بالعاصمة الفرنسية .

وقد وصلت الصور ومسيو "هيلر" إلى مرسيليا في قطار واحد .

وحمل ساعي البريد حزمة الصور والكتب إلى مستر "بارنيت" في الجناح الفاخر الذي يقيم فيه بفندق (رويال بالاس) . أما مسيو "چان هيلر" . فإنه قصد إلى مشرب الفندق ، وشرع يجمع المعلومات عن مستر "بارنيت" .

وكانت لمسيو "هيلر" أساليبه البارعة في استقاء المعلومات فراح يتجاذب مع خادم المشرب أطراف الحديث .. ثم أفهمه أنه يهمه - لمسائل خاصة - أن يعرف المزيد من أمر مستر "جيمس بارنيت" فذكر له الخادم أن "بارنيت" هذا هو الابن الأكبر لأحد أصحاب الملايين في استراليا وأنه قدم إلى فرنسا لإبرام بضعة عقود خاصة بتصدير الصوف إلى مصانع النسيج الفرنسية .

ونقد "هيلر" الخادم مبلغا من المال . وطلب إليه أن يرشده إلى مستر "بارنيت" فأجاب الخادم :

- إنه اعتاد الاختلاف على المشرب في مساء كل يوم .

فقال "هيلر" : إذن أكون شاكرا لك إذا أرشدتني إليه ، وساعدتني على التعرف به

- وأي اسم أذكر له ياسيدي ؟

فكر "هيلر" لحظة ثم أجاب :

- قل له إن اسمي "أندريه موردان" و إنني من تجار المنسوجات الصوفية في باريس .

وفي حوالي الساعة السادسة .. غادر "بارنيت" الجناح الخاص به في الفندق ، وهبط إلى المشرب .. فطلب كوبا من الشراب .. وإحدى الصحف الإنجليزية .

وجاءه الخادم بما طلب .. ثم انحنى فوقه باحترام وهمس في أذنه بكلام .. فحول "بارنيت" رأسه ، ونظر إلى الطاولة التي جلس عندها

"هيلر" .. فابتسم هذا وحياه .. وأسرع إليه .

قال "بارنيت" بالإنجليزية :

- يسرني أن أعرفك يا مسيو (موردان) . نحن إذن زميلان في صناعة واحدة .

فضحك "موردان" المزعوم وأجاب :

- نعم .. والفارق أنكم تبيعون صوف الأغنام ، أما نحن فنبيع المنسوجات الصوفية وقدم "بارنيت" إلى "موردان" قدحا من الشراب .

كان قد رأى الرجل قبل أن يفكر في التعامل معه .. فعرفه في الحال ، وأدرك غرضه .. ومهد سبيل الوصول إلى هذا الغرض .

ودار الحديث بين الرجلين حول تجارة الصوف ، ورغبة "موردان" في استيراد الصوف الخام لحسابه الخاص .. ثم انتقل الحديث بينهما على رنين الكؤوس إلى الحياة في مرسيليا .. وفرنسا .. وباريس ، إلى الفنادق الفرنسية .. والنساء الفرنسيات .

ووجد "موردان" أن ساعة العمل قد حانت فقال وهو يبتسم :

- أليس في نيتك أن تزور باريس ؟

فتنهد "بارنيت" متحسراً وقال :

- آه .. ليتني أستطيع .

فدهش "موردان" أو تظاهر بالدهشة وهتف :

- ليتك تستطيع ؟ وما الذي يمنعك ؟

فابتسم "بارنيت" ابتسامة حزينة وقال بمرارة :

آه لو علم أبي أنني ذهبت إلى باريس فإنه لايتردد في طردي وحرماني من ميراثه ، إنه يعتقد أن باريس هي الباب الموصل إلى جهنم .. وهو يعلم أن برنامجي لايتضمن زيارة هذه المدينة البديعة . وأنني سأقضي في مرسيليا أسبوعا فقط .. ثم أواصل رحلتي إلى

إنجلترا للتعاقد مع بعض مصانعها .

وصمت مستر "بارنيت" لحظة ثم استطرد :

- إن أبي رجل رجعي من الطراز الأول يا مسيو "موردان". وقد حدث منذ خمسة أعوام أنه رأى شقيقي الأصغر يتحدث في الشارع مع إحدى الممثلات . فطرده من المنزل فوراً .. وحرمه من الميراث .. ولم أسمعه يذكر اسمه منذ ذلك العهد .

نعم .. إن أبي رجل قاسي القلب شديد التمسك بأهداب الفضيلة التي لم يعد لها وجود إلا في الرءوس الجوفاء .. الشبيهة برأسه .

قال ذلك وازدرد محتويات كأسه وملأ الكأس من جديد .

أما "موردان" فإنه هز رأسه وقال :

- هذا أمر يؤسف له .. نعم .. من المحزن أن يبحر الإنسان من استراليا إلى أوروبا ، ويقيم في مرسيليا ولايجسر على زيارة باريس والاستمتاع بنساء باريس وملاهي باريس .

فقال "بارنيت" مردداً كلام محدثه :

- نعم ، نساء باريس .. وملاهي باريس . لقد وقع نظري على بعض صور فوتوغرافية تبين مبلغ عناية الباريسيات بإثارة أخبث الغرائز في نفوس الرجال . ولكن مما لاشك فيه أن أصول هذه الصور أبدع بكثير من الصور ذاتها .

فهتف "موردان" :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. وبهذه المناسبة لابد أنك سمعت باسم "جان هيلر" ؛ إنه أعظم تجار الصور الفوتوغرافية في باريس . وله عملاء في جميع أنحاء الكرة الأرضية .

فقال "بارنيت" في صراحة وبلهجة الثمل النشوان :

- سأبوح لك بسر أيها الصديق العزيز لقد قرأت اسم "هيلر" هذا في إحدى الصحف ، فكتبت إليه أطلب مجموعة من الصور والكتب ، وجاءتني الصور اليوم منذ بضع ساعات . آه .. ويالها من صور .

ونظر إلى محدثه من طرف عينه نظرة ذات معنى . فضحك "موردان" وهتف :

- يالك من مسكين ؟ هل أعجبتك الصور التي بعث بها إليك ؟ إذن فاعلم أنه لايرسل إلا أبسط أنواع الصور ، أما الصور الباريسية الفنية الصحيحة .. فإنه يبيعها يداً بيد .. في محله بشارع (لافاييت) ، بل هو يفعل أكثر من ذلك ..

وهنا انحنى "موردان" إلى الأمام .. وقال في همس :

- إنه يقدم إلى الزائرين الأغنياء أصول هذه الصور

ففتح "بارنيت" عينيه في دهشة وهتف :

- أصول هذه الصور ؟ تعني الفتيات والنساء اللائي يبيع صورهن الفوتوغرافية ؟

- نعم ..

- ماذا تقول ؟

- ونظر "بارنيت" إلى محدثه كأنه لايصدق أذنيه . فقال "موردان" :

- يجب أن تفكر في السفر إلى باريس .. وزيارة الجناح الفاخر الذي اتخذه "هيلر" مقراً له .. إنه قبلة طلاب اللهو الصحيح من أهل الطبقة الراقية . و"جان هيلر" من أصدقائي . ولست أجد مانعا من الذهاب معك إلى مقره . حاول أن تذهب ، وكن مطمئنا ، فمن المستحيل أن يعلم أبوك أنك ذهبت إلى باريس .

إن في نيتي العودة إلى باريس غداً . فإذا شئت فإننا نسافر معاً .

ولم يكن "بارنيت" بحاجة إلى المزيد من الإغراء والاقتناع .. فقد كان الاقتناع والرضوخ للإغراء جزءاً من خطته ..

ووصل الاثنان معا إلى باريس في اليوم التالي .. وتناولا طعام الغداء في أحد المطاعم الفاخرة . وكان كل منهما ينفق في بذخ وبلا حساب .

وفي المساء قصدا إلى محل "جان هيلر" .

وقد تبين لـ "بارنيت" في الحال أن "موردان" المزعوم كان معروفا في محل "هيلر" حق المعرفة . لأن أحد الموظفين رحب به واستقبله بكل إكرام واحترام .

وقال الموظف إن مسيو "هيلر" سافر في الصباح إلى لندن بطريق الجو لأمر يتعلق بأعماله . وأفهمهما أنهما يستطيعان اعتبار المكان ملكا لهما .

وطاف "موردان" بـ "بارنيت" عدة غرف قد وضعت على جدرانها أبشع مجموعة من الصور الباريسية . وكان "بارنيت" يقف أمام كل صورة وهو مدهوش مشدوه . ولا ينقل بصره عن صورة حتى تقع عيناه على صورة أبشع منها .

وانتقل "موردان" بصاحبه من قسم الصور الفوتوغرافية إلى عالم الحقائق والمرئيات .

إلى الجناح الخاص الذي يرى فيه الناظرصاحبات تلك الصور وهن ، كما قال "موردان" من أبرز نساء المجتمع . ومن طالبات اللهو (البريء) .

وعاد "بارنيت" إلى مرسيليا في صباح اليوم التالي وهو مقتنع

فيما بينه وبين نفسه ان "جان هيلر" هو اقذر حيوان في باريس القذرة.

وكان الرجلان قد افترقا في باريس ، بعد أن عبر "بارنيت" عن شكره لـ"موردان" ، وامله في أن يتمكن يوما ما من أن يرحب به في (أستراليا) .

ولكن "بارنيت" كان واثقا أن ذلك لن يكون آخر عهده بـ"موردان" ، او على الأصح "جان هيلر" . كان يعتقد انه سيراه قبل انقضاء بضعة أيام ولكنه لم يكن يتوقع أن يراه في اليوم التالي بالذات .

وإذن فقد كان الشقي يريد التعجيل بالصفقة .

* * *

تظاهر "بارنيت" بالدهشة الشديدة حين وقع بصره على "موردان" في الجناح الخاص به في فندق (رويال بالاس) .. وأسرع إلى استقباله وهو يصيح :

- أهلا وسهلا بالصديق العزيز .. اية ريح طيبة عادت بك إلى مرسيليا وشد على يده بحرارة .. ولكن "موردان" فضل أن يظل واقفا.. كان متجهم الوجه ، مقطب الجبين ، خلع قفازه في بطء وهدوء ، وقال بلهجة رجل الأعمال :

- أصغ إلي يا "بارنيت" . إن هناك امرا ارى انه من الأفضل ان تعلمه باسرع ما يمكن فقال "بارنيت" وعلى شفتيه أعذب ابتسامة :

- تكلم يا عزيزي "موردان" .. كلي آذان للإصغاء إليك .

فقال "موردان" في هدوء :

إنني لم اتقدم إليك بصفتي الحقيقة ، فانا "جان هيلر" فحملق "بارنيت" في وجه محدثه ، ثم ابتسم ابتسامة عريضة وهتف :

- يالك من مداعب ظريف يا "جان" .. لقد توهمت حقا انك من تجار المنسوجات الصوفية .. وإذن فالمحل الذي زرناه أمس الأول محلك ؟

- نعم :

فقهقه "بارنيت" ضاحكا ببساطة وسذاجة .. وهم بإبداء رايه في تلك الدعابة الطريفة ولكن "هيلر" قاطعه بقوله :

- إن وقتي ضيق يا عزيزي "بارنيت" ولايسمح لي بسماع آرائك، فدعنا نتحدث في الشؤون العملية .. إن معي صورة فوتوغرافية لك التقطت في محلي اول امس .

فنظر "بارنيت" إلى محدثه في دهشة .. وحيرة من كلام صاحبه ولهجته وهتف :

- صورة فوتوغرافية لي ؟

فاخرج "هيلر" من جيبه صورة فوتوغرافية قدمها إلى "بارنيت" . فتناولها هذا وحملق فيها ..

لم يكن هناك شك في انها صورته الفوتوغرافية . وفي أن الصورة تمثله وهو ممسك بين يديه بفتاة حسناء رشيقة نصف عارية .

وعاد بذاكرته إلى تلك الزيارة .. واستعرض كل ما حدث له في محل "هيلر" بباريس .. وتذكر أن إحدى الفتيات اللائي قابلهن هناك صعدت فوق مقعد لتاتيه بصورة فوتوغرافية مثبتة على الجدار ، فاهتز المقعد تحتها واوشكت أن تسقط .. فاسرع إليها لسندها بيديه..

وإذن فقد التقطت صورة في ذات اللحظة التي احتوى فيها الفتاة بين ساعديه ليمنعها من السقوط ؟

كانت حيلة "جان هيلر" في غاية البراعة .

هتف "بارنيت" :

- ولكن متى التقطت هذه الصورة ؟

فاجاب "هيلر" ببرود :

- لا شك انك تذكر ذلك .

- ولكن .. ولكن ..

وتظاهر "بارنيت" بالتفكير ، ثم هتف :

- لقد حدث ذلك قضاء وقدراً . ولم أكن أقصد إلى احتواء الفتاة بين ساعدي .

فاجاب "هيلر" :

- أعلم ذلك . ولكن لا أحد سوانا يعلم . وهذه الصورة إذا نشرت في صحف أستراليا تحت عنوان (ابن أحد أصحاب الملايين في باريس) فلاشك أنها تحدث ضجة هائلة ..

فابتلع "بارنيت" لعابه بصوت مسموع وغمغم :

- ولكن في استطاعتي أن أوضح الحقيقة .

- وهل يصدقك أبوك مهما أوضحت ؟ وهل تستطيع أن تبرر وجودك في باريس ، وفي المكان الذي التقطت فيه هذه الصورة ؟ فكر في الموقف مليا يا "بارنيت" .. إنني جئتك الآن لأعرض عليك شراء أصل هذه الصورة .. أعني الزجاجة السلبية التي يمكن استخدامها في طبع الآف من أمثال هذه الصورة .

فصاح "بارنيت" :

- ولكن هذه ... هذه جريمة .. جريمة احتيال وابتزاز .

- ولا يهمني أن تصف عملي بما شئت من أوصاف . أنت الآن أمام أمر واقع والثمن الذي أطلبه لإخراجك من هذه الورطة هو مائة ألف فرنك .

فقطب "بارنيت" حاجبيه وهتف :

- خذ هذا الثمن .

ولكمه على حين غرة لكمة ألقت به بعيدا ، ثم شمر عن ساعديه وصاح :

- قم وانهض ، لتقبض باقي الثمن أيها المحتال الأثيم .

فبصق "هيلر" سنا انكسرت من تأثير اللكمة ، واحمرت عيناه

غضبا .. ولكنه لم ينهض من مكانه .

قال بلهجة تنم عن الحنقة :

- هذه اللكمة قد رفعت الثمن إلى مائتي ألف فرنك ..

إن هذا السلوك لايفيدك أيها الغر الأحمق .. ولن يضع يدك على أصل الصورة بما لم تدفع الثمن .

فقال "بارنيت" ببرود :

- بحسبي أنني ألقيت عليك هذا الدرس .. ولو كان جسدك القذر يحتمل المزيد من اللكمات لكلتها لك بغير حساب .

وأمسك بساعد "هيلر" ، ورفعه بيده كما يرفع طفلا وقذف به إلى ركن آخر

ثم تهالك على أحد المقاعد وأخرج من جيبه دفتر التحويلات المالية وفكر لحظة ثم كتب تحويلا ووقع عليه بإمضائه بعناية شديدة .

وعلى الرغم من أن "هيلر" لم يحول بصره عن "بارنيت" وهو يفعل ذلك .. إلا أنه لم يلاحظ أنه قد كتب التحويل بيده اليسرى .

وألقى "بارنيت" بالتحويل في وجه "هيلر" .. وصاح :

- إليك الثمن أيها الكلب . والآن .. اغرب عن وجهي

فاختطف "هيلر" التحويل ووضع قبعته على رأسه .. ولاذ بالفرار .. وهو يتمتم بكلام غير مفهوم .

وتمهل "هيلر" في أحد أروقة الفندق وأصلح من ثيابه ما تهدل وبصق دما .

سوف يدفع "بارنيت" ثمن هذه اللطمة غاليا .

إنه لم يحصل على أصل الصورة بعد . ومتى انقضى يوم أو يومان فإنه - أي "هيلر" - يستطيع أن يطلب مبلغا آخر من المال ويكون الطلب في هذه المرة بواسطة التليفون ، نعم ، مادام أصل الصورة عنده ففي إمكانه أن يعصر ضحيته ، ويبتز منه ماشاء من

مال حتى يفلسه أو يدفعه إلى الانتحار ..

نظر إلى التحويل وقرأ ما كتب عليه .

كان التحويل على فرع بنك فرنسا في مرسيليا ، والمبلغ يدفع لحامله .

وقصد "هيلر" توا إلى البنك ، وقدم التحويل ، وانتظر .

انتظر نصف الساعة .. ثم ساعة .

وأخيراً دعاه موظف الخزانة ، وطلب إليه في أدب أن يتكرم بمقابلة مدير البنك في مكتبه ، لأن ودائع مستر "بارنيت" في البنك لا تكفي لدفع قيمة التحويل .

ولشد ما كانت دهشة "هيلر" ، عندما دخل غرفة مدير البنك ورأى "بارنيت" جالسا هناك .

جمد الرجل في مكانه ، واستولت عليه رغبة شديدة في أن يلوذ بالفرار .

ولكنه عاد فأدرك أن الفرار لايجدي ، لأن البنك حافل بالحراس والموظفين .

وأدرك فضلا عن ذلك أنه لايوجد ثمة مايخشاه ، فالتحويل قد كتب ووقع أمامه ، وإذا لم تكن ودائع "بارنيت" في البنك تكفي لدفع المبلغ المطلوب فالذنب في ذلك يكون ذنب "بارنيت" ، والقصاص يقع عليه وحده .

قال مدير البنك :

- تفضل بالدخول يا مسيو "هيلر" هل أنت الذي قدمت هذا التحويل لصرفه والحصول على قيمته ؟

فأجاب بجرأة دون أن ينظر إلى "بارنيت" :

- نعم .

- إن التحويل لن يصرف ، ليس لأن مستر "بارنيت" المحترم لايملك

من الودائع مافيه الكفاية ، وإنما لأن مستر "بارنيت" اتصل بنا في الوقت المناسب ، وأنبأنا بأن دفتر تحويلاته قد سرق منه ، وطلب إلينا أن نلقي القبض على أي شخص يقدم تحويلا باسمه .

فأجاب "هيلر" بصوت مرتفع :

- هذا عجيب ، لاشك أن هناك خطأ ، فمستر "بارنيت" قد كتب لي هذا التحويل بخطه ، ووقع عليه بإمضائه .

فقال مدير البنك بصوت أجش :

- إنني أعرف خط مستر "بارنيت" وتوقيعه وهذا الخط ليس خطه والتوقيع ليس توقيعه ..

فزاغ بصر "هيلر" ، والتصق لسانه في حلقه .

كان قد عمل حساب كل شيء إلا هذا .

وراقبه "بارنيت" بحدة ، ثم ابتسم ، وتحول إلى مدير البنك وقال:

- لاشك أن الخط والإمضاء مزوران . ولكني أعرف هذا الرجل ولا أريد أن أقسو عليه . ولذلك طلبت إليك تليفونيا أن تحجزه ولا تسلمه إلى رجال البوليس .

إنه ينتمي إلى إحدى الأسر الكريمة . وقد حاول ذووه إصلاحه فلم يجد فيه إصلاح ، فدعني أجرب حظي معه . سأصحبه معي إلى الفندق لأحصل منه على إقرار كتابي بألا يعود إلى مثل مافعل. وإذا رفض فإنني أعيده إليكم لتتخذوا معه ما ترون من الإجراءات .

وانصرف "بارنيت" و "هيلر" .

كان هذا الأخير كأنه في حلم .

لم يحدث له قط أن وقع في مثل هذه الورطة ، أو سقط في الشباك التي اعتاد أن ينصبها لضحاياه .

أغلق "بارنيت" باب الغرفة ، ونظر إلى هيلر في شماتة وسخرية وقال :

- والآن ما قولك في هذا ياعزيزي "موردان" ؟ .. إنك وقعت في ورطة.. ولكني على استعداد لإنقاذك .. بثمن ..

فتح "هيلر" فمه في ذهول ، وهتف :

- ولكن هذه جريمة .. جريمة احتيال ، وابتزاز .

فأجاب "بارنيت" في هدوء :

- لك أن تصف عملي بما شئت من أوصاف ، إنني أريد ٣٠٠ ألف فرنك لكي أنسى أنك زورت توقيعي . فما قولك ؟

فصاح "هيلر" :

- إنك لن تنال مني فرنكا واحداً .. ومتى نشرت صورتك الفوتوغرافية في ...

فقاطعه "بارنيت" :

- ليتك تنشرها لكي أضحك وأستغرق في الضحك .. إن هناك حقيقة من مصلحتك أن تعرفها أيها الأخ المحترم ، وهي أنني لم أر استراليا قط ، وأبي ليس مليونيراً أو استراليا ، وفي استطاعتك أن تبعث بصورتي إلى جميع الصحف في جميع القارات فذلك لايهمني .

والآن .. اختر لنفسك ما يحلو : ثلثمائة ألف فرنك ، أو السجن .

- ولكني لا أملك كل هذا المبلغ .

- إنني أمهلك أسبوعا ، ولا يهمني أن تبيع محلك القذر ، وتعلن إفلاسك ، ويهمني بهذه المناسبة أن تعلم أن التزوير ليس التهمة الوحيدة التي أستطيع توجيهها .. إليك .. أصغ ...

وأدار "بارنيت" حاكيا صغيراً (فوتوغرافا) كان على طاولة قريبة ، فردد الحاكي العبارات التالية :

(دعنا نتحدث الآن في الشؤون العملية .. إن معي صورة فوتوغرافية لك التقطت في محلي أول أمس) .

وهي ذات العبارات التي نطق بها "هيلر" عندما جاء للمطالبة بثمن الصورة ، وكان "بارنيت" قد أعد جهاز (الديكتافون) لالتقاط مايدور في الغرفة من حديث .

* * *

فر لون "هيلر" عندما عرف صوته في العبارات التي رددها الحاكي .

قال "بارنيت" :

- هذه الأسطوانة دليل مادي يثبت عليك محاولة ابتزاز المال بالتهديد ، وهي جريمة يعاقب عليها القانون كما يعاقب على جريمة التزوير .

فأطرق "هيلر" برأسه ، ثم تمتم بصوت المذبوح :

- إذن ... إذن أرجو أن تمهلني أسبوعا .

* * *

ومن تحصيل الحاصل أن نذكر أن الرجل دفع المبلغ المطلوب قبل انقضاء تلك المهلة .

"تمت بحمد الله"